

ليلى حمراي / الصفحات: من 39 إلى 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

البعد الثقافي في رواية مملكة الفراشة لواسيني الأعرج

أ.م. ليلى حمراي

أ.د. علي ملاحي

جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف / جامعة الجزائر 2 – بوزريعة (الجزائر)

l.hamrani@univ-chlef.dz

تاريخ النشر: 2022/12/31

تاريخ القبول: 2022/12/04

تاريخ الإيداع: 2022/12/02

الملخص باللغة العربية:

تناولت هذه الورقة البحثية الحديث عن أماكن العشرية السوداء وما شابهها من عنف وتشويه لجمالها، وقد قاربناها من بعدها الثقافي في رواية مملكة الفراشة لواسيني الأعرج، الذي لعب المكان في جل رواياته دور البطولة، حيث تناولنا في هذه الورقة عدة عناصر طرقتنا من خلالها أولا: مفهوم الثقافة وعلاقتها بالحضارة، ثم علاقة الثقافة باللغة والهوية، الهوية في الرواية الجزائرية. كان هذا فيما يخص الجانب التنظيري، أما ما تعلق بالجانب التطبيقي، فقد حاولنا مقارنة عنوان الرواية أولا وما يحمله من دلالات متعلقة بالوطن، ثم تحدثنا عن: جدلية الإنية والآخر في رواية مملكة الفراشة: انفصام الهوية بين الرواية والسيرة الذاتية، الامتزاج الهوياتي في مملكة الفراشة، وثنائية الأنوثة/ الذكورة في مملكة الفراشة، ثم ختمنا هذه الورقة البحثية ببعض ما توصل إليه البحث من نتائج

الكلمات المفتاحية: المكان، الثقافة، الهوية، الامتزاج الهوياتي، الرواية، السيرة الذاتية.

Abstract :

This paper dealt with the location of the Black Decadal and the similar violence and distortion of its beauty. We approached it from its cultural dimension in the novel of the butterfly kingdom of Wassini Al-Araj, which in most of its novels played a starring role. This was on the theoretical side, and what related to the applied side, we tried to approach the title of the novel first and the connotations of the country, and then we talked about: In the novel Butterfly Kingdom: The separation of identity between the novel and the autobiography, the mixing of identities in the butterfly kingdom, the bisexuality of femininity/masculinity in the butterfly kingdom, and then we sealed this paper with some of the findings of the research.

Keywords: Place, Culture, Identity, Identity Blending, Novel, Biography.

تمهيد :

المكان هو ذلك الفضاء الذي يحوي بين جنباته الأحداث و الشخصيات، إذ لم يعد مجرد ديكور تزويقي، تؤثر به الرواية، ليضفي عليها لمسة جمالية فقط، بل أصبح شخصية مهمة من شخصياتها. ولأزال الإنسان منذ الأزل متعلقا بالمكان الذي ولد وعاش فيه مختلف تجاربه الحياتية، فلولا أهميته لما وقف العرب في العصر الجاهلي على الطلل، ولما بكى الإنسان في ذلك العصر الدمن والديار والمنازل والأمصار، معيدا بعث الحياة في زوايا ذلك الطلل المضمحل، لعلّه يقف في وجه الفناء والاندثار. فالعلاقة بين المكان والإنسان علاقة وجودية أزلية، لذا بقي الطلل في الصدارة، واكتسب كبر الأهمية في الرواية، والرواية الجزائرية على وجه الخصوص.

ليلي حمراي / الصفحات: من 39 إلى 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

لا يفوت البحث الحديث عن الرواية الجزائرية، التي اهتم روائيوها بالمكان أيما اهتمام، مركزين على المكان المأساوي، ولا نظنه عيبا أو قصورا عند المبدعين الجزائريين، إنما جاء نتيجة لما علق في أذهان الجزائريين، من أحداث مأساوية، مرّ عليها الزمن وبقيت تحفر في الذاكرة، وما فتئ الروائي الجزائري يصور المدن الجزائرية أثناء العشرية السوداء، التي ساد فيها القلق والخوف، والتدمير للبنى التحتية المهمة في الوطن، حين فقدت السماء صفاءها، وتلونت بلون أدخنة البارود، وفاحت رائحة الدماء وتعفن الأجساد في كل ركن من أركان هذا الوطن. ويعد واسيني الأعرج من الروائيين الذين حصروا تركيزهم على المدن الجزائرية في العشرية السوداء، مهتما لدرجة الهوس بموضوعة " الهوية "، وإن كانت هذه الأخيرة عند واسيني الأعرج، غير منحصرة في مكان أو زمان أو لغة معينة في الرواية، إذ انفتحت مملكة الفراشة على عناصر ثقافية كثيرة، وتشكلت الهوية ضمنها من العديد من الهويات، ولعل اللغة التي أثّرت هذه الرواية توضح ذلك، إذ مزج الروائي اللغة السردية بنظيرتها الشعرية، واستقطبت رواية مملكة الفراشة العديد من اللغات: الفرنسية، الإنجليزية، الألمانية، أما ما جعلها أكثر تميزا وتفرّد فهي اللهجة العامية.

وقد ساءلت هذه الرواية، كل المكونات الهوياتية، ابتداء من استحضار الماضي السحيق، والخوض في أسئلة جدلية، هي أشد التصاقا بالهوية، التي ما فتئ المبدع - كإنسان - يبحث عنها في مجمل إبداعاته، فكانت اللغة والدين والانتماء. حيث وقفت هذه الدراسة إلى أسئلة هوياتية أثارها الروائي في مملكة الفراشة، تلخصت في مجملها على انفتاح الهوية الجزائرية وعدم انغلاقها، متمثلة في تلك النرجسية، التي تميزت بها روايات واسيني الأعرج، كدلالة على الانقسام الهوياتي الذي يعاني منه المجتمع الجزائري، جراء ما مرّ عليه من حضارات وثقافات، وأهمها الاستعمار الفرنسي، الذي ساهم في تشويه عروبة الجزائر.

فالهوية هي جزء من الثقافة الانسانية، هذه الأخيرة التي اكتست طابعا شموليا، وشغلت فكر العديد من الباحثين والعلماء، فعرفها كل منهم من زاويته الخاصة، وتضاربت الآراء وتنوعت، واكتست أهمية بالغة في كافة الميادين.

(1) **تعريف الثقافة:** احتملت لفظة ثقافة العديد من التعريفات، إذ لم تكن دقيقة وواحدة مثل التعريف اللغوي، وقد عرف سعيد يقطين النص بأنه « بنية دلالية تنتجها ذات (فردية أو جماعية) ضمن بنية نصية منتجة وفي إطار بنيات ثقافية واجتماعية محددة».

1

ويعرفها ادوارد تايلور (Edward Tylor) (1832 – 1917) في كتابه الثقافة البدائية، حيث يقول بأنها: « ذلك الكل المركب الذي يضم المعارف والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف وكل المقدسات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان في مجتمع معين...»²، إذا فمصطلح الثقافة مصطلح شاسع المفهوم ولا يقتصر على جانب معين من جوانب الحياة، ذلك أنه يضم كل ما هو مادي ومعنوي من مناحي الحياة الانسانية،

ليلي حمراي / الصفحات: من 39 إلى: 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

كالمعتقدات والدين والعادات والتقاليد والفنون، بالإضافة إلى الحاجات البيولوجية من طعام وشراب وملابس وغير ذلك.

وهو ما يشكل هوية كل مجتمع من المجتمعات، ويميزه عن غيره. وهو ما يمثل «الالتزامات الأساسية الثقافية، والإنسان لا يعيش بحاجته البيولوجية فقط، إذ يحاول أيضا أن يجد نفس الدين واللغة والفن وأثر فيه ولى أن يطور نوعا من وجهة النظر الأدبية والفلسفية عن مكانه في هذا العالم»³.

ارتبطت الثقافة عند الكثيرين بالحضارة، وتعلقت بثنائية: التعلم والتعليم، ولا وجود للحضارة إلا بشمولية الثقافة ورقمها، وهذا ما ذهب إليه ثلة من الباحثين، من بينهم ماثيو أرنولد في كتابه الثقافة والفوضى.

في حين رأى البعض الآخر أن الثقافة أوسع من الحضارة، ذلك أن " الثقافة تتصل بقدرة الفرد والمجتمع على فهم الحياة والسيطرة عليها "⁴

تشتمل الثقافة على كل ضروب ومناحي الحياة المادية والمعنوية في المجتمع، أما الحضارة فهي العلم، وبالعلم والثقافة ترتقي البشرية إلى المصاف العليا.

وهي حسب العالم الأنثروبولوجي رالف لينون "مصطلح ملائم لتعيين المنظمة من العادات والأفكار والمواقف التي يشترك فيها أعضاء أي مجتمع ولذا يكاد يكون من المتعذر على أي عالم أنثروبولوجي أن يبحث في هذه الأمور دون استعمال هذا المصطلح".⁵

لا يمكن لأي عالم أنثروبولوجيا أن يدرس الحياة الإنسانية، دون التطرق إلى كل هذه الجوانب التي تنضوي تحت مسمى الثقافة، وهي ذات الجوانب التي تتشكل منها الخصوصية الفردية والخصوصية الاجتماعية، وبالتالي فالثقافة هي جانب من الجوانب الإنسانية التي لا يمكن إغفالها في أية دراسة كانت.

فالدين والعادات والتقاليد والفكر الاجتماعي والسياسي، هي مكونات للحياة الإنسانية، بالإضافة إلى أنواع اللباس وأنواع الأكل وغيرها، ولعل ما تزخر به الجزائر من عادات وتقاليد وأنواع كثيرة من الأطباق والملابس والطبوع الموسيقية المتنوعة والرقص، يدل على الثراء والتنوع والرقى الذي عاشه أجدادنا.

وحافظ الجيل الجديد على ذلك الموروث الإنساني وقام بتطويره، وهو ما نراه حاليا من تطوير للباس التقليدي الجزائري، والحلويات التقليدية وغيرها. ومهما طوروا شكله، فإن نواته الأولى لن تتغير وستبقى ثابتة، وهو ما ينبئ بشدة اهتمام الجيل الجديد بماضيه التليد، الذي يمثل انتماءه.

ليلي حمراي / الصفحات: من 39 إلى 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

يمكن أن نعتبر الثقافة تلك المجموعة من " المعارف والعلوم والآداب والفنون التي يستعملها الناس ويتثقفون بها وقد تحتويه الكتب و ذلك هي خاصة بالذهن".⁶

جمع سلامة موسى كل ما ذهب إليه من سبقه من الدارسين في تعريفه لمصطلح الثقافة، وهو لم يفصل بينها وبين الحضارة، إذ رأى بأنها كل المعارف والعلوم والآداب والفنون، وغيرها من السلوكات التي قد يتحلى بها مجتمع إنساني معين في هذه الحياة.

(2) علاقة الثقافة باللغة:

ارتبطت الثقافة ارتباطا مباشرا باللغة، باعتبارها وسيلة للتعبير عن حاجيات الفرد، وتبليغ مقاصده إلى المتلقي، الذي يستقبلها ويفك شيفراتها، ولا يمكن أن نتحدث عن هوية مجتمع معين إلا بربطه بلغته الأم، التي ينتمي إليها، والتي تميزه عن الآخر. ذلك أن «اللسان والثقافة يرتبطان ببعضهما عبر علاقة ارتباط متبادل، فاللسان الذي يتخذ مجتمع معين يعكس الثقافة العامة للسكان بمعنى آخر فإن اللسان جزء من الثقافة، أنه يشكل أحد عناصرها».⁷

تعد اللغة العربية هي مكون من مكونات الهوية العربية، وتتفرد لهجة كل مجتمع عربي عن الآخر، رغم الوحدة العربية، لذا نجد العديد من اللهجات العربية، بل كثيرا ما نجد الاختلاف في اللهجة حتى داخل البلد الواحد، هذا لأنها خاضعة لنظام اجتماعي معين، وتعبّر عن جماعة معينة، وما هو بالعيب أو النقص، إنما هو دلالة على ذلك الاختلاف في الثقافة.

هي إذًا "مواضعة جماعية يتوطأ على تمثيلها الأفراد، فهي ظاهرة اجتماعية أودعها مراس الكلام في الجمهور، تتبلور في تلافيف المجتمع. وبالتالي تغدو المعطيات الاجتماعية الخلفية التي يتعين الرجوع إليها لتحديد ما نرومه من الكلام، وتميز الفئات الاجتماعية التي توظف السلوك اللغوي في مناسبات الحياة المتراوحة. إذ إن هذا السلوك مطية الأفراد في حياتهم العامة والخاصة، وهو المرأة الكاشفة عن هوية الأفراد وبيئاتهم وفئاتهم المختلفة"⁸. إذ تحتاج الحياة الانسانية إلى اللغة للإستمرار، وهي ليست من إكتشاف الفرد، بل تواضعت واتفقت حولها جماعة معينة، وهو ما يبرر الاختلاف في اللهجات داخل البلد الواحد، وهذا ما كنا قد أشرنا له آنفا.

يذهب كلير كرامش إلى أنّ " اللغة نسق من العلامات signs نعهدها قيمة ثقافية لأن المتحدثين يعبرون عن هويتهم وهوية الآخرين من خلال استخدامهم لها. فهم يرون أن استخدامهم للغتهم رمز لهويتهم

ليلي حمراي / الصفحات: من 39 إلى 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

الاجتماعية، ومنع استخدامها رفض لهويتهم وثقافتهم. وعليه يمكننا القول: إن اللغة ترمز لواقع ثقافي⁹. مكونا ومبرزا معالم الهوية الخاصة بمجتمع معين، وهو ما سنبحثه كعنصر من عناصر الثقافة في هذه الدراسة.

حيث تبرز هذه العلاقة جلية في الرواية الجزائرية، إذ نعثر على ذلك الثراء اللغوي، الذي يكسب الرواية تفردا وتميزا، فهي رواية تنفتح على العديد من اللغات والثقافات، لكنها تبقى متمسكة بنواتها الأولى.

وقد تجسد ذلك في رواية مملكة الفراشة، إذ مزج الروائي اللغة السردية بنظيرتها الشعرية، وانفتحت رواية مملكة الفراشة على العديد من اللغات: الفرنسية، الانجليزية، الألمانية. أما ما جعلها تتميز وتنفرد هي اللهجة العامية، وأي لهجة هي هذه العامية؟ هي ليست موحدة وليست واحدة، بل تميزت كل منطقة من مناطق الوطن بلهجة معينة. ذلك لأن "اللغة لا تنكشف من داخلها فحسب بل تنكشف أيضا في علاقتها بالمتكلم والمجتمع"¹⁰.

لا يُكسب هذا التنوع اللساني الرواية الجزائرية الخصوصية الهوياتية فحسب، بل يزيد على ذلك إذ تصبح أكثر خصوصية، فتحيلنا إلى جهة معينة من جهات الوطن، معرفة العالم أجمع بالثراء اللساني والتراثي والجغرافي للجزائر، رمزا إلى بلد هو بحجم قارة في مساحته، في تنوعه الجغرافي واللغوي، وكذا التنوع في العادات والتقاليد، في اللباس والطعام...

(3) علاقة الثقافة بالهوية:

لم تتأخر الرواية الجزائرية عن ظاهرة التجريب الروائي، ومساءلة كل المكونات الهوياتية، ابتداءً من استحضار الماضي السحيق، والخوض في أسئلة جدلية، هي أشد التصاقا بالهوية، التي ما فتئ المبدع - كإنسان - يبحث عنها، في مجمل إبداعاته.

فكانت اللغة والدين والانتماء والجنس، من بين أهم الإشكالات التي خاض فيها الروائيون، في كافة أنحاء العالم، وفي الجزائر على وجه الخصوص.

وقف فيها الروائي الجزائري على أسئلة شائكة، صاغها من رهانات الواقع المعيش، ومن عمق الماضي، فعمد الروائي الجزائري إلى الأطلال والرسوم، يقف عليها يبكيها تارة، ويسائلها تارة أخرى، عليها تمنحه السكينة والاستكانة، ويهدئ فيض الشك الذي يساوره، محاولا تهديم كل الأصنام، وتقويض المعالم البالية، وهو في ذلك يحاول بناء عالم جديد، يخضع لكونولوجيا زمنية يجب احترامها لبلوغ الرجاء.

فالهوية، سؤال اكتسب في البداية عدم الدقة والانضباط، وجاءت إجاباته متفرعة ومتشعبة، شكلت جدلا ورهانا حقيقيا، عند العلماء والدارسين والأدباء على حد سواء، فالنفسانيون مثلا: «غالبا ما فهموا الهوية

ليلي حمراي / الصفحات: من 39 إلى 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

"مفهوم الذات"، والاجتماعيون "نمط الأدوار" لشخصية ما، والعلماء الجنائيون بحثوا عن تحديد "هوية الجاني"، ودرس الأطباء النفسيون "فقدان الهوية" في الأمراض الفصامية، ووصف الأنثروبولوجيون "الهويات العرقية" Racial Identities، و"الهويات الإثنية"، ورأى اللاهوتيون أساس الشخصية الأصلي في "الهوية الربانية"¹¹.

كل عرف الهوية حسب الحقل العلمي والمعرفي الذي ينتمي إليه، و«في هذه الأثناء أصبح مفهوم الهوية الذي كان يفترض له الأصل أن يتضمن أقصى درجة من التجريد، برّاقاً ومشحوناً إلى درجة أن أودوماركفارد Odo Marquard لم يكن مجانباً للصواب كثيراً عندما وصف نقاش الهوية بأنه "غيمة مشكّلة ذات تأثير ضبابي»¹².

مما استدعى منا تتبع هذا المصطلح الزئبقي، علّنا نقبض على بعض شذراته هنا أو هناك.

- مفهوم الهوية :

قبل محاولة استكناه مدلول المصطلح (الهوية)، لا بأس أن ننوه إلى أنه مصطلحاً موغل في القدم، ضارب بجذوره في عمق التاريخ الإنساني، منذ بدأ الإنسان يطرح على نفسه أسئلة حول وجوده وكيونته، وعلم الفرق بينه وبين باقي المخلوقات.

ظهر المصطلح بداية عند الفلاسفة اليونان، إذ وصف أرسطو ظاهرة النفس على أنها «بقاء الشيء نفسه أو الموضوع ذاته أو المفهوم نفسه على حاله»¹³، إذاً الهوية مرهونة باستمراريتها عبر الزمن، دون أن تتغير أو تتبدل. ولا يعني هذا الرأي أنها لا تتطور، وإنما تبقى محافظة على جوهرها، لكنها راضخة لإرغامات الزمن والتمدن والحضارة، وهو ما تكسبه الهوية من إضافات في شتى الميادين الحياتية.

ممثلة لشجرة البلوط حسب بول ريكور، إذ يقول: «إنها الشيء نفسه Same منذ أن كانت بذرة حتى صارت شجرة في ريعان نضرتها. ويصح الشيء نفسه حين يقال عن حيوان ما من مولده حتى مماته، وعن الإنسان بوصفه نوع من الأنواع، منذ أن كان جنينا حتى يصير شيخا. إنّ إظهار هذا الإستمرار يؤدي وظيفة معيار مكمل لمعيار المشابهة في خدمة الهوية العددية»

¹⁴، لا تعني الاستمرارية عدم تطور الإنسان، أو ركونه لنفس الأفكار، وتقوقعه على ذاته، لكن الرضوخ لكرنولوجية الزمن واحترامه لها. وهو السير نحو المستقبل وعدم العودة إلى الوراء، إلّا من أجل فهم الخلل ومحاولة إصلاحه، رحلة زمنية يكتسب المرء خلالها خبرات ومعارف، تجعله أكثر ازدهاراً وتطوراً وانفتاحاً، مع الحفاظ على المبادئ التي تشكلت منها هذه الهوية.

ليلي حمراي / الصفحات: من 39 إلى 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

أو بمعنى مختصر وأعم: «الذات»، هي التي لي، فالأشياء جميعا، المعطاة أو التي في اليد، يمكن أن تكون هي نفسها، أو متطابقة، بمعنى هوية المطابقة¹⁵، ويبقى ثباتها في الزمن، رهان بقائها الوحيد، مع بعض الإضافات التي تسقلها وتنمىها.

نحتفل كل سنة في الجزائر برأس السنة الهجرية، وهو احتفال يمتد منذ بزوغ فجر الإسلام إلى يومنا هذا. وبقي الجوهر يلمع رغم مرور ما يربو عن ألف وأربعمئة سنة، واستمرت الصلاة منذ فرضت علينا بنفس أركانها، وبقيت كل أركان الإسلام واحدة لم تتغير ولم تتطور، ولم يزد أو ينقص منها شيء، واحتفظ القرآن بقديسيته، منزها عن الزيادة أو النقصان، معبرا عن دين متين يصعب تفتيته أو تقويضه، مع عدم إمكانية التشكيك فيه، لأنه يجيب على كل الأسئلة ما ظهر منها وما بطن...

وحافظ أمازيغ شمال إفريقيا، على احتفالهم برأس السنة الأمازيغية، وهي عادة متأصلة في المخيال الوثني البربري منذ سنوات خلت، ولزال أهل القبائل يحيونها كل سنة، تبركا بإله الربيع، ولزلنا نحى معهم هذه العادة، متفائلين بسنة ملؤها الخير واليمن والبركات، احتفاءً بلون الخضرة، شكرا لله على فضله ونعمه الكثيرة. إذا كان هذا الطقوس الاجتماعي -إن صحّ التعبير-، يعبر عن طقس ديني وثني كان قبل الميلاد، واستمر في الزمن إلى غاية اليوم، مع التغيير في المعتقد أو الاحتفاظ به، فهذا لا يشكل إلا هوية أمازيغية، يشترك فيها أمازيغ المغرب العربي، إن لم نقل شمال إفريقيا، والجزائريون على وجه الخصوص.

تطرق إدوارد سعيد إلى جملة من القضايا المتعلقة بالهوية، وطرح أسئلة متعلقة بـ"الأنا" و"الهم"، وبالغرب والعرب، وبحكم العلاقة الجدلية «القائمة بينها وبين الثقافة تتميز هي الأخرى بطابع إنساني عام وشامل، حيث أنها تتألف من عناصر ومكونات الوحدة والاختلاف»¹⁶، اعتمد إدوارد سعيد على ما سماه بالهجنة والتوليد، فالهوية عنده ليست الاختلاف، بل هي التزاوج والتمازج بين الأنا والآخر، إذ يرى في التمييز بين الشرق والغرب، تمييزا عنصريا عرقيا.

وهي إيديولوجيا تمتد إلى غاية العصر اليوناني، معتبرا أن مبدأ الهوية «مبدأ سكوني يشكل لباب الفكر الثقافي خلال العهد الإمبريالي. إن الفكرة الوحيدة التي لم يكدها يمسها التغيير إطلاقا، عبر التبادلات التي بدأت بانتظام قبل نصف ألف من الزمن بين الأوروبيين و"آخرهم" هي أنّ ثمة شيئا (جوهريا) هو "نحن" وشيئا هو "هم"، وكل منها مستقر تماما، جليّ، مُبين لذاته وشاهد على ذاته، بشكل حصين منيع. وهو انقسام يعود (تاريخيا)، كما ناقشته في الإستشراق، إلى الفكر اليوناني عن البرابرة»¹⁷، نلمح في هذا القول، ذلك الرفض الصارخ لإدوارد سعيد، للفكر الإمبريالي بكل أشكاله، معتبرا إياه تميزا عنصريا واستعلاء وتحقيرا للآخر، إذ أصبح مصطلح الهوية، الذي كان لليونانيين يد في ولادته «مع حلول القرن التاسع عشر كان قد أصبح العلامة المائزة للثقافات الإمبريالية إضافة إلى تلك الثقافات التي كانت تسعى إلى مقاومة التطاولات العدوانية الأوروبية عليها»¹⁸، إذا فالثقافة من هذا المنطلق هي العلامة المائزة بين الشعوب، لاسيما ما كان أثناء الاستعمارات، وكمثال على ذلك،

ليلي حمراي / الصفحات: من 39 إلى 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

الاستعمار الفرنسي في الجزائر، الذي نقل فرنسا بكل معمارها وثقافتها ودينها ومعتقداتها إلى الجزائر، محاولا محو الذاكرة الجزائرية، وتقويض معالم هويتها فيها، معتبرا إياها قطعة فرنسية، في حين كانت ترى في الشعب الجزائري أقل قيمة من الفرنسيين، بل لا وجود لهم إطلاقا. وتشبث الجزائريون - رغم كل محاولات الهدم التي قام بها الاستعمار الفرنسي- بهويتهم، فحفظوا القرآن وتعلموا اللغة العربية، وحافظوا على العادات والتقاليد من الطبخ واللباس، والصوم والصلاة، والأعياد الدينية، وعادات الزواج والولادة وغيرها... وإلا لما وصلت إلينا نحن جيل العولمة والتكنولوجيا.

خوفا من الانسلاخ والذوبان في الآخر المستعمر، الذي كان سيؤدي لا محالة إلى اختفاء بلد إسمه الجزائر. وهو ما عكف الروائيون الجزائريون على استلهامه في كتاباتهم، مستحضرين التاريخ بكل مقوماته وعناصره، فنحن « ما نزال ورثة ذلك الأسلوب الذي يتحدد المرء تبعاً له بالأمة: الأمة التي تستقي، هي بدورها، سلطتها من تراث يُفترض أنه مستمر دونما انقطاع»¹⁹، يجد إدوارد سعيد في التمسك بالهوية، ورد كل ما يمت بالتاريخ والتراث لها، فيه نوع من الدفاع عن وجودنا وكياننا، في ظل إستعمار فرنسي، كان يهدف إلى طمس هذه الهوية.

- **الهوية في الرواية الجزائرية:** يبقى سؤال الهوية والخصوصية، من الأسئلة الشائكة والمقلقة في الرواية الجزائرية، وما انفك الروائي الجزائري يطرحه في كل مناسبة، وقد يقود هذا إلى الكثير من التعطيم، الذي قد ينحرف بصاحبه إلى رؤى لا أساس لها من الصحة.

وظلت الرواية الجزائرية تسير بخطى حثيثة، متزامنة مع مجريات الواقع الجزائري، تفتح منه أفكارها ورؤاها، في ظل أزمة خانقة، كادت تأتي على الأخضر واليابس، ورواية مملكة الفراشة لواسيني الأعرج، لا تشطط ذلك، ولا تنفك تطرح الأسئلة الشائكة، حول قضية الهوية والهوية الإثنية في المجتمع الجزائري

وإذا عدنا إلى كلام أمين معلوف، نجده يحدد الهوية، على أن « كل شخص دون استثناء، يتمتع بهوية مركبة ويكفيه أن يطرح بضعة أسئلة ليستخرج كسورا منسية وتشعبات لا شك فيها وليكتشف أنه مركب وفريد ولا يُستبدل»²⁰، معتقدا أن الهوية تتكون بالعديد من العناصر، قليلها فطري يكتسب بالولادة، وكثيرها يأتي عبر الإحتكاك بالعائلة والإختلاط مع الناس، من كل الطبقات والديانات والثقافات والانتماءات...، بل الشخصية على الرغم من كل هذه العناصر المشتركة بين البشر، إلا أنها تبقى خاصة ونادرة، ولا يمكن أن نجد اثنين متشابهين في كل شيء، في هذا الوجود، «وإذا عممت بصعوبة أقول بأن لي انتماءات مشتركة مع كل كائن حي، ولكن لا يوجد كائن في الكون يشاطرنني كل انتماءاتي ولا حتى جزءا كبيرا منها. من عشرات المعايير التي يمكنني أن أعرضها تكفي حفنة منها لتثبت هويتي الخاصة بوضوح، هويتي المختلفة عن هوية الآخر، وحتى لو كان ابني أو والدي»²¹، مبرهنا أن الهوية لا تعطى وإنما تكتسب عبر فترات من العمر، هذا لأن عناصر الهوية التي «توجد فينا عند الولادة ليست كثيرة، فهي بعض الخصائص الجسدية والجنس واللون... وحتى هنا فليس كل شيء

ليلي حمراي / الصفحات: من 39 إلى: 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

فطريا»²²، حيث يمكن للمرء أن يعيش في نفس المحيط الاجتماعي، بل في نفس الأسرة لكنه يختلف عن باقي أفرادها، إذ يمكن أن نجد في الأسرة ذاتها القاتل والمقتول مثلا، وهو ما حدث في الجزائر عشية العشرية السوداء، التي اقتتل فيها الإخوة.

يبقى سؤال الهوية يورق الانسان منذ ظهوره في هذا الوجود، وهو سؤال إنساني وجودي على كل حال من الأحوال. وقد أثاره العلماء و الفلاسفة والأدباء - مثلما ورد سابقا - ولزال هذا السؤال يورق الفكر والفكر الجزائري على وجه الخصوص، لا سيما فيما يخص قضية الانتماء، في ظل عوامل جغرافية، عرقية ودينية ولغوية و... وما خلفه الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

العودة إلى الهوية الجزائرية، نجدها تتكون من العديد من العناصر: الأمازيغ الذين استوطنوا شمال إفريقيا قبل الميلاد، والذي يُرجح انتماءهم إلى القبائل العربية الكنعانية الجيميرية، وهم حسب عثمان سعدي «عرب عاربة، استقروا بالمغرب العربي ضمن هجرات سابقة لهجرة الكنعانيين الفينيقيين... توسعت هذه الهجرات على الخصوص مع بداية المرحلة الدفينة الثالثة منذ ثمانية عشرة ألف سنة قبل الميلاد... فقد كانت أوروبا وشمال إفريقيا قبل هذه المرحلة مغطاة بالجليد، وكانت الجزيرة العربية تتمتع بمناخ أوروبا الآن، فذاب الجليد هنا وضغط الجفاف هناك فهاجر إنسان الجزيرة العربية وعمّر شمال إفريقيا وجنوب أوروبا»²³، وقد أكد هذه الفرضية ثلة من علماء الآثار والتاريخ من أمثال: العالم العراقي أحمد سوسة، المؤرخ الأمريكي ويليام لانغر، غابريال كامبس، بوسكي G.H.Bousquet وغيرهم²⁴، لكننا لا نتغيا البحث في هذا الموضوع أو الإغراق فيه، لأنه سيحيد بنا إلى مسار آخر، غير الذي نترجاه منذ البدء.

انسحب ذلك السجال حول قضية الهوية والهجنة إلى الأدب: إلى الرواية أو السرد على وجه العموم، ولا يخفى على أحد، أن الرواية جاءت نتيجة لذلك التمزق الذي حدث في المجتمع الفرنسي، وولادة طبقة جديدة تأرجحت بين الأرستوقراطية والطبقة الكادحة، مما شكّل لديها إضطرابا وتمزقا، وعدم وضوح الهوية واستقرارها.

إذ تجلّى ذلك في الرواية المعاصرة، التي أصبحت تشهدنا الساحة الأدبية، وغير بعيد عن موضوع هذه الدراسة، لدينا على وجه الخصوص الروائي واسيني الأعرج، الذي تميزت جل رواياته بالإضطراب وعدم الوضوح والتعمية والتعتيم، وهو ما يفسر الهم الذي يثقل كاهله، وكاهل الرواية الجزائرية، في البحث عن الهوية وتحديد عناصرها، وجعلها أكثر دقة وتركيز.

(4) قراءة في العنوان: لم يعلق العنوان على ظهر الكتاب مجانا أو اعتباطا، بل هو أول ما يجب على القارئ فهمه كي يتسنى له فهم البقية، باعتباره الفكرة العامة للنص، وأول ما يثير غريزة التساؤل لدى المتلقي: «فهو الموضوع العام، بينما الخطاب النصي يشكل أجزاء العنوان الذي هو بمثابة فكرة عامة ومحورية أو بمثابة نص كلي.»²⁵

لفهم النص يجب أن نفهم العنوان، باعتباره النافذة التي نطل من خلالها على عالم النص السردى، بتراكيبه وأساليبه ودلالاته " إذ يعدّ أول مفتاح إجرائي به نفتح مغالق هذا النص سيميائيا من أجل تفكيك مكوناته قصد إعادة بنائها من جديد.²⁶

لذا يكتسب أو يحظى العنوان بنوع من الأسبقية على النص، في عملية التلقي لأنه هو الذي يجذب المتلقي، إذ يؤسس لغواية ينساق معها القارئ، وهو الذي يمنح النص هويته، مثله مثل بطاقة التعريف، إذ ليس باستطاعتنا استكناه النص، إلا إذا اعتبرناهما (النص والعنوان) خطابين متكاملين، يساعدان القارئ في عمليتي القراءة والتأويل.

وينقسم العنوان إلى قسمين : الأول مباشر يصب في لب النص السردى مباشرة، والثاني يراوغ القارئ ويدخله في متاهات، ويخلق لديه حيرة، إلى درجة يتناقض فيها العنوان مع النص في بعض الأحيان. فهي عناوين تميل إلى نحو بلاغي استعاري، لتؤدي وظائف عديدة فإن " العنوان الروائي الحديث يكسر هذا الانسجام فنيا، فلم يعد يعبر بالضرورة عن الحدث أو الشخص بحد ذاته صارا يشكل عصيانا على النص، فلا يمثل غير الإشراق الغافية في باطنه ومن ثمة فهو غواية لا تقدم لنا شيئا بقدر ما تفاجئنا وتفتننا.²⁷

وعنوان الرواية قيد الدراسة عنوان غير مباشر لما فيه من شعرية وبلاغة، فهو عنوان استعاري مجازي، مقتضب كومضه إشهارية، لأن العنوان لا يصب في متن النص مباشرة، بل يكسر تلك الرتبة التي كانت سائدة على العناوين القديمة، وهو ما وسمه بالغموض الذي أضفى شعرية على العنوان، وفرض على المتلقي إمعان الفكر، والفضول إلى قراءة هذه الرواية، نتيجة ما أثاره العنوان فينا من شكوك وأسئلة، تمكّننا من الإجابة عنها حينما قرأنا الرواية.

مملكة الفراشة : عنوان غير مباشر، يتميز بشعرية تجذب المتلقي وتأسره، وترغمه على القراءة والبحث في متاهات السرد، وهذا ما يسمى بفتنة أو جاذبية السرد، وقد ركز العنوان على المكان، وهو جملة إسمية من مبتدأ وخبر.

حيث جاءت لفظة مملكة : خبرا مرفوعا محذوف المبتدأ وتقديره " هذه " : « هذه مملكة الفراشة »، حيث حذف المبتدأ جوازا " لوجود ما يدل عليه، مع عدم تأثر المعنى والتركيب بحذفه.²⁸، وهو مضاف والفراشة : مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره. هذا فيما يخص المستوى التركيبي.

ليلي حمراي / الصفحات: من 39 إلى 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

تتمثل غرائبية العنوان في ذلك التنافر المنطقي بين لفظي المملكة: التي تعني البلد الذي يخضع للحكم الملكي، وهو حكم موروث من الآباء والأجداد، والفراشة حشرة تعيش حرة طليقة في الأجواء، رغم صغر حجمها وهشاشتها، فكيف يمكن لحشرة أن تحكم بلدا وتملكه؟ فماذا يقصد الروائي من خلال هذا العنوان؟

قال الله في محكم تنزيله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾²⁹، تخبرنا الآية الكريمة بصفة التشتت وعدم الانتظام للفراش، والانتشار والتفرق، من شدة هول يوم القيامة. على خلاف النحل الذي عرف بالنظام، في قوله عز وجل: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69)﴾³⁰، فالفراشة إذاً حشرة تعيش في مجتمع مشتت غير منتظم، على عكس النحلة التي تعيش وفق نظام من العلاقات ذات الفرص المتكافئة.

ترمز مملكة الفراشة إلى الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، التي ماثلها الروائي بالمملكة، يعيش فيها المواطن تحت حكم ملكي، لا حرية ولا ديمقراطية ولا حق له، يعيش مأساة وطنية بكل المقاييس، هشا لا أهمية له.

ظن المواطن الجزائري أنّ من ثاروا ضد السلطة، وأرادوا حكما جديدا تحت راية الإسلام، سيقومون الموازين بالقسط، ظنا منه أنه النور، فخلق نحوهم المواطن وتحلق حولهم، متفاجئا في نهاية المطاف بخدعة وصفقة وُقِّعت حروفها بالدم، فاحترق المواطن بنار وبارود من ثاروا ضد الحكم ذ، ودفع الضعفاء الثمن لوحدهم.

لا يعبر هذا العنوان عن الماضي فقط، بل يتميز بلا زمنية، مفيدا الاستمرارية إلى ما لا نهاية، متنبئا بعودة العشرية السوداء على مدار الرواية: « من قال... هذه الحرب انتهت مادام الموت حاضرا، وربما أكثر مما كان عليه. على مدار العشر سنوات الحارقة أكلت الحرب الأهلية لأكثر من ٢٠٠ ألف إنسان، الجزء الأكبر منهم لم تكن هذه الحرب حربه. »³¹. وكي لا يقع القارئ في اللغظ، يخبرنا الروائي أن الفراشة هي كل واحد منا، في إهداء كتبه بخط يده: « الحبيبة الغالية ماذا أقول عن حالة هي في القلب ومن القلب وإلى القلب. ليست ياما إلا أنت، أنا، وكل من يزال له قلب في عالم بلا قلب ولا عقل. »

فمملكة الفراشة، مملكة الضعفاء الذين عانوا ويلات العشرية السوداء، ولأزالوا يعانون كل أنواع الإضطهاد والفقر والتمهيش، والموت والجنون على قارعة الطرقات.

ليلي حمراي / الصفحات: من 39 إلى 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

تعد مملكة الفراشة إذاً عتبة نصية تتميز بالرمزية والاستعارية، تدعو للتفكير والتأمل، كما أنه عنوان مختصر ومركّز، يحمل دلالات جمّة ضمن ألفاظ مكثفة، فعلى الرغم من قصر العنوان إلا أنه مثخن بالدلالات، تنبئها بفعل القراءة.

وهو عنوان مختصر يحذو في ذلك حذو العناوين السينمائية المعاصرة، يؤدي وظيفة إغرائية تجذب القارئ، و توقعه في فتنة السرد.

5) جدلية الإنية والآخر في رواية مملكة الفراشة:

– انفصام الهوية بين الرواية والسيرة الذاتية:

واسيني الأعرج هو من الروائيين الذين طارت شهرتهم وذاع صيتهم، واكتسبت كتاباته تميزاً و خصوصية، ونكهة نرجسية جعلته ينتزع – عن جدارة واستحقاق – أعتى الجوائز العربية والعالمية.

قد سبقه إلى ذلك روائيو الحداثة والنهضة العربية، وعلى رأسهم نجيب محفوظ، الذي لم يتوان لحظة، ولم يدخر جهداً، في الربط بين الواقع والتاريخ والجريمة المعممة على كل المجتمعات، كان للمرأة فيها حصة الأسد، كحضور إجتماعي وديني وسياسي وثقافي... ولا ننكر فضل الرواية النسائية، وما أفصحت عنه من جماليات...

ونحن نقف على أعتاب رواية مملكة الفراشة، الصادرة سنة 2013، لم نستغرب بناءها الفني العصي عن الخلخلة أو التفتيت، لموضوعاتها الإشكالية والوجودية، والحوارية الصارخة، واستحضار الفنون والآداب واللغات العالمية. فلا نحس معها بدوار في الضمائر والأسماء فحسب، بل بدوار الميثاقص والتناصية، التي برع فيها الروائي المثقف، إذ تراءى لنا في هذه الرواية، ذلك الازدحام المعرفي، الذي ولّد في حد ذاته قلقاً في الرواية، التي نقلت العدوى إلى القارئ.

التبست الرواية عند واسيني الأعرج بالسيرة الذاتية، وتماهت تفاصيلها مع تمفصلات الحياة الواقعية للروائي، وقد سماها عبد الله شطاح بالنرجسية، ذلك أن كاتب « السيرة الذاتية، والتخييل الذاتي بالخصوص، لا يستنكف من التصريح بأنه يعري ذاته الحميمة، ومعها ذوات الآخرين، كما يراها أو كما تصور لها أوهامه، ويدفعه البحث المحموم عن هويته: (من أنا؟) - بفعل غياب أو ضعف اليقينيّات الدينية أو الفلسفية وحتى الإيديولوجية – إلى الذاتية الصرف»³²، إذ حلّ واسيني الأعرج في معظم شخصياته، لاسيما شخصية فاوست، وقد جاء على لسان ياما ما يلي: «عرفت أشياء كثيرة لم أكن أعرفها إلا قليلاً، عن فاوست. مثلاً أنه ارتبط كثيراً بأمه في صغره لدرجة التماهي معها وأنه لا يستطيع أن يحب امرأة ليس فيها شيء من أمه؟ كانت جدته هي حاضنته الأساسية.

ليلي حمراي / الصفحات: من 39 إلى 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

كلما ينس من المحيط ذهب عند خالته وبقي طويلا مع بناتها اللواتي كنَّ يُحببن قصصه التي كان يجيد روايتها... وعندما أكلت الحرب العالمية الثانية، وحرب التحرير والده الشاب، عاش في قرية لم تبق فيها إلا النساء والأطفال الرجال التهمتهم الحروب»³³، تقول ياما: «لأول مرة ينتابني شعور غريب بالخسارة. كتاباته تكلم النساء في العمق، ربما لأن جزءا حميما في داخله امرأة أو صنعتها النساء اللواتي تربى في أحضانهن. لاحظت بسهولة أن كتبه لا تكلم الرجال إلا قليلا. قلت في مرة من المرات لصديقتي اللواتي كنَّ تحدثني عنه: لابد أن يكون فيه شيء من الأنوثة، وأنه عاش مرحلة نسائية جعلت حساسيته تصبح أنثوية ولهذا يتحدث لغتهن، وهذا إحساس مرهف ليس معطى للجميع. ولأنه كذلك فحظه معهن كثير كثير»³⁴. لا ضير من إدانة واسيني الأعرج لحرب أخذت منه والده، ورملت أمه وجعلته يتيما، حرب التهمت الرجال، وفرضت على واسيني أن يعيش في مجتمع النساء، الأم والجدة والخالة وبنات الخالة، كلهن نساء، لذا لا تبرح رواياته تقدس المرأة، وتدعو إلى إعادة كل حقوقها المسلوبة منها. بل يدعو واسيني الأعرج من خلال هذه الرواية، إلى عودة الأنوثة إلى البشرية، ذلك الجانب الانساني الذي كاد يندثر، فالفحولة قاتلة ومتوحشة، وقد ترددت جملة "الأنوثة الأبدية تسمو بنا" كثيرة في هذه الرواية.

يستمر تأكيد الرواية على حضور شخص الروائي في شخصية فاوست: «ولا أدري أي حظ وأية نجمة لامسها فاوست. كان خائفا من المجيء، وها هو يتحول فجأة إلى أيقونة وطنية جميلة.

وجهه وهيأته جعلاه محبوبا في عين كل المارة»³⁵، «ما السر أو حتى ما المدهش في مسرحية تتحدث عن حرب أهلية مدمرة في مدينة غير مدينتنا؟ أو حضور شخص، أيأ كانت قيمته، اختار المنفى الطوعي، طوال أيام النار والخوف، وجاء مرافقا لمسرحيته، وليوقع كتابه لمحبيه؟ لا أدري!»³⁶، «رأيت في عينيه لذة عشقية غريبة تشبه خزرة نارسييس وهو يتأمل وجهه في سطح الماء، ويرتفع نحو الأعالي»³⁷، «قرأت له الكثير. قال في أحد حواراته: من يقرأني عليه أن يقتنع للمرة الأخيرة بأنه في الأدب ولا شيء غير الأدب أنا فيه مجرد صورة عابرة أو شخصية وهمية. أتمنى أن نجد ذلك في مسرحيته»³⁸، «محظوظ وزيادة. هو معروف أكيد. وتحصل على جوائز عالمية. ومرشح لجائزة المسرح العالمي، هذا كله يفترض أن يدفع به إلى التواضع. الذين عرفوه قبل سنوات الرماد، يقولون إنه كان موهوبا وبسيطا، وكان مناضلا ونقابيا أيضا»³⁹، «لمعت عيناه العاشقتان بنور حاد لا يملكه شخص آخر غيره. ثم أشرقت ابتسامته الجميلة التي لم تفقد ألقتها على الرغم من علامات العمر والتعب الباديين عليه. لقد وقّع أكثر من ألف نسخة لأن الأبواب الخارجية فتحت وسمح للجميع بالدخول لشراء المسرحية وتوقيعها.

- كتابي القادم. سيكون عنوانه: خيانات ورقية. وهو في مسار امرأة الظل. عن امرأة تحب كاتباً وتريده بقوة، وتشتهي قتله لأنه يخونها في كتاب مع امرأة افتراضية»⁴⁰، لعله يقصد روايته أنثى السراب: "شهوة الحبر"، "فتنة الورق"، تلك كانت أسماء نشرت بها هذه الرواية في كل مرة: «مريم امرأة فاتنة الجمال، ساحرة الأنوثة، متمردة

ليلي حمراي / الصفحات: من 39 إلى: 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

وملهمة، جعلت المرأة الحقيقية/ البطلة/ الشخصية المحورية في أنثى السراب، حبيبة الظل القابعة في الخلفية المظلمة، وامرأة التخيل الأول، تفقد أخيرا أعصابها بفعل الغيرة من مريم/ امرأة التخيل الثاني، ذات الحضور الملح في سالف النصوص على كثرتها، فقررت الانتقام أخيرا، بتصفية مريم تصفية جسدية بعدما صفتها تصفية ورقية»⁴¹، «فوجئت بشمس التي تعودت على وجهها الطفولي المدور، تحمل في يدها مسرحية امرأة الظل لفادي. فاوست»⁴²، يتضح أنّ فاوست هو واسيني الأعرج، رغم أن فاوست ليس واسيني فقط، بل هو يسكن في كل واحد منّا.

ونعثر على مقبوس آخر يؤكد حضور واسيني الأعرج في الرواية: «كنت أحس بأنه محاط ببحر واسع من الفرح واللذة. كان مشهورا ويعرفه كل الناس. الصحافة الوطنية والعربية والعالمية تتحدث عنه كثيرا وعن منجزاته المسرحية. كل نصوصه التي كتبها لاقت رواجا مهما، وترجمت أعماله إلى أكثر من ثلاثين لغة عالمية»⁴³.

تفاجئنا الرواية ونحن على بعد صفحات من نهايتها، أن ياما كانت واسيني في حد ذاته، لأنها تشبهه في الثقافة، في الأسماء المستعارة، في حبك السرد ونظم الرواية، تشبهه في أسئلتها عن الحرب والتاريخ والحاضر والمستقبل، تشبهه في إنسانيته التي ما انفك يدعو إليها، فيما لا تخاف من ارتياد حانة الأوبرا، واحتساء الخمرة حتى في العشرية السوداء! للمرة الثانية طلبت بيرة من النادل، كأنه لم يسمعني.

- بيرة خويا من فضلك. تانغو لو سمحت.

..... وضع بيرة تانغو أمامي بنوع من العنف ثم غرق في الدوران حول الطاولات، والاستجابة للزبائن الذين كان أغلبهم يطلب بيرة مضغوطة.

- مرّبهني أن أقوم من مكاني وأغسل النادل وأبهده»⁴⁴، لا ندري إن كانت النساء تجبن الشوارع ليلا، وتعاقرن الخمرة، وتسامر الرجال في موضوعات رجالية، عن النساء والجنس والسياسة...؟ «دخلت إلى بار الأوبرا. كان الناس منغمسين في الألعاب. اخترت الزاوية الأقل اكتظاظا. بدا لي في لحظة من اللحظات، كأني كنت في مدينة أخرى لا أعرفها. لا أدري إذا ما كانت هي الصدفة أم الحقيقة! كانت الموسيقى هادئة. أعتقد أنها كانت لستراوش الدانوب الأزرق. سمعت شابا يقول لصديقه التي تواجهه بعينين غبيتين فارغتين.

- هل تعرفين الدانوب الأزرق؟

- ماركة عطور هههههههه؟

- ضحكت ببلادة. وجارها في ضحكتها متفاديا إحراج بلادتها

- لا. أتحدث عن هذه الموسيقى»⁴⁵، «واصل وهو بالكاد يكتم ابتسامة ملعونة ارتسمت في عينيه أكثر من شفثيه.

- اسمك لا يوحي بأنك من هذه البلاد. مارغريت؟ اللهم إذا انتحلت اسم غريتشن المسكينة.

ليلي حمراي / الصفحات: من 39 إلى 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

- هكذا غلبتني يا صاحبي. باستا. أحييك»⁴⁶، الجملة الأخيرة توحى بذلك. «لا أدري ما الذي قادني نحو مدينة دبلن برفقة ستيفان ديدالوس و ليوبولد بلوم في ليلة لم تكن جميلة ولا مريحة. أصلا لا أعرف كيف أحكم عليها! كنت أعبر معهما دروب المدينة بملائكتها وشياطينها وحتى أشباحها الخفية، وهما منهما كان في نقاش لا ينتهي عن الحياة والجنس والخوف من الصباح حتى فجر اليوم التالي بلا توقف. شعرت بألفة كبيرة تجاه يومها الطويل ١٦ يونيو ١٩٠٤ وكأني كنت أعرفه بكل تفاصيله»⁴⁷، جابت ياما الشوارع ليلا دون خوف كأنها رجل، في زمن كان حتى الرجال ينامون فيه باكرا، «بينما بقي الشخصان يتدفآن بالنار. عندما وصلتُ، سألتها عنه ولم أشعر بأي خوف منهما:

- هل تعرفانه؟

- لا. لأول مرة نراه.

تمتم الأول بينما أضاف الثاني :

- هذه ثالث مرة. ليس من المدينة. يبدو أنه هارب من العدالة.

....

- واش هاذة الهيلولة اللي دليرينها على هذا المخلوق العجيب؟ هل عنده كل هذه القيمة؟

- يقولون المسرحية لا بأس بها.

- كنت أحب المسرح من بكري، من وقت الماجيستيك الله يرحمها، ولكن منذ أن قتلوا كل شيء، البشر والعمران، ما عدت نروح.

- الماجستيك. إيه. خرجت الكلمة مني بحسرة، بينما انهمك الرجلان في التدفؤ بالنار.⁴⁸ تواصل ياما حديثها مع الرجلين اللذين كانا يتدفآن بالنار ليلا بالشارع الرئيسي، وكأننا مع رجل وليس امرأة: « تركتهما بعد أن تمنيت لهما ليلة سعيدة»⁴⁹، تنسكع في الشوارع ليلا، تتسامر مع رجال غرباء، والأدهى أنها لم تأبه بطلقات الرصاص!؟: «لم آبه لرشقات الرصاص التي كانت قريبة بعض الشيء. مشيت في شارع الأوبرا الطويل. قلت ربما وجدت سيارة هاربة تأخذني نحو شمال المدينة، ومن هناك استقلّ سيارتي التي تنتظرني خلف الجسر»⁵⁰

تواصل ياما مشيها في الشارع الطويل، بحثا عن أي سيارة تقلّها نحو الشمال!؟ تعكس هذه الرواية شخصية الروائي، متجلية في بطلّة روايته ياما، التي سعى الروائي من خلالها إلى تعرية المجتمع الجزائري، والإفصاح عن وجوده في ثنايا الحكاية، وعن وضوح صوته الذي لا يكاد يخبو، أو تنطفئ جذوته.

- الامتزاج الهوياتي في مملكة الفراشة: تميزت كتابات واسيني الأعرج، حسب رأي الطاهر روائية «بنزوعها نحو إنجاز محكّ روائي يمكن وصفه بالإمبراطورية الحكائية Empire diégétique، كون مجمل أعماله الروائية تشكل بطريقة أو بأخرى ملتقى أجناس متعددة من الخطابات المهاجرة من مختلف نصوص الثقافة في سياقاتها التخيلية والتاريخية والجغرافية والإيديولوجية والإنثوية والفنية»⁵¹، وهو ما تعلنه الرواية، في تناصاتها الكثيرة

ليلي حمراي / الصفحات: من 39 إلى 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

مع العديد من الروائع العالمية، الألمانية والفرنسية وحتى الأساطير، وما نهله من الأدب الياباني، والانجليزي وتلك الدراية الواسعة بخبايا السرد العربي، وتأثره الواضح بأسلوب ألف ليلة وليلة، وهذا ما ولد قلقا في الرواية، انتقلت عدواه إلى قراءها كما سبق وأشرنا.

قد يتجلى تأثر واسيني الأعرج بالوجودية الساترية، وبروايات بوريس فيان، التي اتخذها افتتاحية لروايته قيد الدراسة، إذ نعثر على ما يثبت ذلك في مقدمة الرواية، التي حاكى فيها واسيني الأعرج بوريس فيان، إذ يقول: «الحرب ليست فقط هي ما يحرق حاضرننا، ولكن أيضا ما يستمر فينا من رماد حتى بعد خمود حرائق الموت. لكل فراشة احترقت أجنحتها الهشة، وهي تحاول أن تحفظ ألوانها، وتبحث عن النور في ظل ظلمة كل يوم تتسع قليلا.»⁵²، في الصفحة المقابلة لها رقم 7، نقع على قول بوريس فيان، باللغة الفرنسية، عكف الروائي على ترجمته في هامش الصفحة:

« Je ne me suis pas battu, je n'ai pas été déporté, je n'ai pas collaboré, je suis resté quatre ans durant un imbécile sous-alimenté parmi tant d'autres. »⁵³

Boris Vian, 1936

« لم أقاتل، ولم أهجر ولم أكن عميلا، بقيت على مدى أربع سنوات غيبا، مصابا بسوء التغذية مثل الكثيرين. » يستحضر واسيني الأعرج معها براعة بوريس فيان، في حبك رواياته المناهضة للحروب، والرافضة لسلطة الحكام والكنيسة، داعيا إلى المساواة والحرية في كل شيء، حتى الحرية الدينية.

غير بجانب للصواب إذا تساءلنا عن علاقة واسيني الأعرج ببوريس فيان، في حين الذي يقرأ الرواية للوهلة الأولى، يظن أنها إسقاط لمسرحية فاوست على المجتمع الجزائري، وترجمة لها بأسلوب محدث وجديد، ولما كانت الرواية حاملا لدلالات عديدة، لم تتورع عن طرح أسئلتها الوجودية، الديالكتيكية، حيث تأسست مملكة الفراشة على التناقضات والتشكيك في المسلمات، ولعلها تعكس فكر بوريس فيان، الذي لربما تأثر به الروائي، إذ يطالعنا هذا المقبوس بالجواب: «- هذا الذي كان يجب أن تجسده في لوحاتك يا عزيزي ميرو. هل رأيت رسولا يأتي برسالة خير للناس ويسلمها لغيره من الأنبياء الوهميين؟ هو هكذا. كتب هذه الرواية التي قتلته باسم أمريكي مستعار هو فيرنون سوليفان، ونشرها بعد رماد الحرب العالمية الثانية،... ماذا كان في رأس بطله لي أندرسون سوى الرغبة المستميتة للانتقام لأخيه؟ العنصرية في جنوب أمريكا كانت قوية. ماذا وجد له قتلة الروح كالعادة؟ قالوا إنه كتاب فضائي وغير أخلاقي، فصادروه وأدانوا صاحبه بتهمة المس بالأخلاق العامة. أبناء الكلب عن أية أخلاق يتحدثون؟ تمنيتك أن تكون قريبا من جرح خيالاته فقط»⁵⁴، يبدو أن فريجة لم تتوغل في شخصية بوريس فيان كثيرا، ولم تقرأه وإنما قرأت روايته، وهذا مستبعد كون الروائي ضليع بكل الجوانب وموسوعي المعرفة، ولا نظنه غفل عن كل المقالات والتحليلات التي صدرت عن رواياته وفي شخصه،

ليلي حمراي / الصفحات: من 39 إلى 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

ذلك إذا ولجنا إلى محرك البحث قوقل، تمكنا من معرفة أن بوريس فيان من أنصار البوهيمية، التي تنغي الحرية في كل شيء، في الدين، في اللبس، الموسيقى، لاسيما العلاقات الاجتماعية، إذ يمكن ممارسة العلاقة الحميمة مع أي كان ومع العديد من النساء والرجال في نفس الوقت، وهو ما قام به بالتحديد بطله لي أندرسون، الذي مارس الجنس بتفسخ مع فتيات قاصرات، ومع الفتیان أيضا، ومارسه مع الأختان وجثتهما بكل وحشية؟، ثم أكل لحمهما وشرب من دمهما، داعيا إلى الانتقام فيما يسمى بالعنصرية المضادة، فالظاهر من الرواية هو المساواة، أما الباطن فقد كان الوحشية والقتل السادي؟ فأَيّ مساواة هذه التي يرمز إليها؟ دون أن ننسى حضور موسيقى الجاز أيضا، إذ يتحول البطل أندرسون من دون جوان إلى قاتل: «... هنا يجمع المشهد أقصى الإجرام والسادية في أقصى صورها مع الجنس، إذ يشرب أندرسون من دم ضحيته وهو يغتصبها مستمتعا من صرخاتها... ويتوغل في السادية بممارسة الجنس مع الجثة... إذ يمزج السرد بين الإجرام والعريضة، و الإستلذاذ بالقاصرات والتوحش في رغبة الانتقام.»⁵⁵، إذاً ما الذي يرمي إليه واسيني الأعرج من وراء هذا المزج، بين مملكة الفراشة وأدب بوريس فيان؟ وما هو الهدف من لعبة التجلي والخفاء للشخصيات، وبين الحقيقة والظلال؟.

حارب زير المستعمر من أجل الحرية، واستمات في الدفاع عن الوطن مرتان، ورفض الوضع السائد والانصياع لقتلة البشر، ودعى إلى التسامح وأدان كل الأطراف التي أشعلت الحرب، وانسحب منها عندما طُلب منه أن يحمل سلاحا للمرة الثانية، مما يضعه في مرتبة الطهر والقداسة، تطلقه فريجة بعد وفاته مقتولا، بسبب حبها وهوسها ببوريس فيان السادي؟، الذي يشرب من دماء ضحاياه؟ فهل يعني هذا إنهيار فريجة واستسلامها للأوضاع السائدة؟ من الهذيان إلى الموت؟، وهو ما يعمقه هذا المقبوس: «أحبّت كتاباته كثيرا لدرجة الهبل فقط.

- صورها معه غريبة بعض الشيء؟

- هذا الجو الغريب أنت لم تعيشه حبيبي، فقد مرّض أكثر من واحد. وأودى بحياة الكثيرين»⁵⁶، ماكان غريبا لصافو التي لم تعيش العشرية السوداء، لأنها فرّت مع عائلتها إلى فرنسا، كان بالنسبة لياما ولكل مواطن جزائري، عاديا، لأنه أثر عليهم وأودى بحياتهم، فبوريس فيان الذي استسلمت له فريجة، كان هو الوضع السائد في العشرية السوداء، حين استسلم المواطن لقذري الموت أو الجنون الحتميين...

استسلام فريجة هو دلالة على استسلام الوطن، لمجموعة من المرضى الساديين، الذين عبّرت عنهم الرواية بصورة بوريس فيان، محملة التاريخ مسؤولية العاقبة الوخيمة التي آل إليها الوطن، إذ تقول ياما: «فجأة رأيت وجه أُمي بكامله وهي ترمي صور والدي على الأرض وتحرق بعضها. كانت تصرخ بأعلى صوتها كذئبة مجروحة في الأعماق: خلاص تعبت من حضوره أريد أن أتحرق منه ويتحرر مني»⁵⁷، يؤكد ميرو أن معرفته لبوريس فيان

ليلي حمراي / الصفحات: من 39 إلى 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

سطحية نقلية، من خلال رواياته والجرائد والمجلات التي تحدثت عنه، مركزا على أن دراية فيرجي الواسعة والعميقة، ببوريس أكثر من أي شخص آخر، منوها أنه فهم من اطلاعه البسيط على أدب بوريس فيان، أدرك بأنه مناهض للحروب والظلم والتمييز العنصري.

لربما هذا هو ظاهر بوريس فيان، أما ما تبطنه رواياته فهي على العكس من ذلك تماما، فبوريس فيان رمز للسادية، وهو ما تجلى في روايته سأبصق على قبورك، أحداث هذه الرواية صادمة بكل المقاييس، ولا علاقة لها بالسلام ولا المساواة، ولا حتى كرهه للحروب، أي حب وأي سلام وأي مساواة هذه، التي تحتم على صاحبها أن يشرب من دم ضحاياه؟.

لا نظن أن واسيني الأعرج كان يرغب في تبجيل بوريس فيان، إذا لم تكن علاقة فريجة بزير جيدة وهو العالم الكيميائي، والذي لم يضع يده في أيدي القتلة، والذي استشهد في سبيل حماية أبناء هذا الوطن، والذي جال بها العالم، الذي لا يجادلها ولا يتشابه معها، والذي ربما خانها لكنه لم يكن قاتلا ولا سفاحا ولا محرضا على ذلك، فكيف لها أن تُغرم برجل أغرق في البوهيمية، والانحلال واتخذ العشيقات الكثيرات، وعرف بالسادية؟. فهل كان لموت زيريد في هذا التحول؟ هل كانت حالتها مجرد نتيجة لفقدانه؟ وهل هذا ما جعلها تنفصم وترمي بكل ثقلها بين أحضان ذلك الرجل السادي؟

شخصت الرواية حالة فريجة المتدهورة، كواقع مختل مضطرب أفرزه الماضي (التاريخ)، فحمل الروائي الماضي (زير) تبعات ما حلّ بالوطن في تلك الفترة، من القتل السادي المازوشي، الذي عانى منه أفراد الوطن دون سبب، فاستحضر «الماضي في هذه الأعمال لم يأت بمثابة رقعة أرجوانية تزين العمل الأدبي، لم يوظف بغرض تمكين الخطاب السياسي الرسمي أو بقصد استعماله جسرا للعبور إلى شاطئ الأدبية والشهرة (...) بل يمثل حضور الماضي في هذه الأعمال مُركّزاً لنقد الواقع المتردي ونقض الخطاب الذي ما فتئ يكرس الظلم والاستغلال»⁵⁸، وقد عمد واسيني الأعرج إلى توظيف العشرية السوداء، وما عاناه المواطن من عذابات، جراء تلك المرحلة التي شاع فيها القتل بكل سادية، وهو ما تحدثنا عنه سابقا.

تعلن ياما احتراق الماضي إلا القليل منه، وانتصاب الحاضر المؤلم الذي ولدّ الخوف والهلع والجنون والموت... من خلال إحراق فيرجي لكل صور زير إلا صورة وحيدة هربت ياما من غضب أمها. وانتصبت بورترهيات بوريس فيان في الصالون وفي الردهات، كدلالة على انتصار تلك المرحلة المضطربة، وتأثيرها على المجتمع، إذ تقول: «فجأة أصبحت لوحة بوريس فيان الطويلة تتصدر الصالون.

يبدو واقفا بشموخ زائد. أفرغت الحيطان، ما عادا حائط المكتبة، من لوحات الرسامة الروسية لودميلا التي سلبت عقل بابا زوربا عندما عُرضت في الشيراتون، فاشترى اللوحات الأربع: الأخوات الأربع، ونزعت لوحات لمحمد إسيخام وأخرى لمحمد خدة ومنمنمة عالية في الدقة لمحمد راسم، ولوحات أفريقية حية الألوان، ولوحة لرسامة هندية ويابانية كان بابا زوربا قد اشتراها في مهامه المخبرية لتلك البلدان.

ليلي حمراي / الصفحات: من 39 إلى: 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>للمتها كلها ووضعتها في زاوية من غرفتي في انتظار أن أجد لها مكانا مناسباً.⁵⁹

يمكن القول أن مرحلة العشرية السوداء أخذت مساحة كبيرة في حياة المواطن والوطن، وطغت على الماضي المجيد (الثورة التحريرية) والاستقلال إلا القليل منها فقط. ولعل غضب فيرجي من زبير (الماضي) كان مبررا، وهذا ما تراه فيرجي معللة فعلتها: «عندما كان في أوروبا قلت له لا تعد. كانت حياته تهمني. حاولت، ترجيته أن يبقى هناك و أتبعه مع الأولاد. لكنه ركب رأسه و عاد مباشرة بعد إفلاس بريستول ميير. قتل نفسه، و قتل عائلته كلها معه. ابني رايان؟ ماريا؟ أنت؟ أنا؟ كلنا شهداء، هذه القسوة التي لم يفكر فيها لحظة واحدة...»⁶⁰.

يقع قارئ هذا المقبوس فريسة للشك، وتناوشه العديد من الأسئلة، فهل تُدين فيرجي حرب التحرير؟ معتبرة إياها سببا في الفرقة والتصدع الطارئ على الوطن؟ أم هي إشارة واضحة على مناهضة فيرجي للثورة وإدانها لها؟ هل تحاكم فيرجي زبير لأنه رفض أن تصبح الجزائر فرنسية؟ ويعيش الشعبان تحت راية واحدة، تذوب فيها الهوية الجزائرية وتنطمس؟

وبالعودة إلى شخصية بورييس فيان، نجده مناهضا للحروب، يُظهر المساواة، أما باطنه فينبئ عن عكس ما يُظهره، بل ممثلا لعنصرية مضادة. ليصبح زبير فجأة مجرد قطعة أثرية في المنزل: «تحت الرقابة الصارمة لعيني والذي لا ينام أبدا. لقد استقر في إطار معلق على رأسي، وهو الرجل المليء بالحياة. أصبح فجأة جزءاً من أثاث البيت. كنت في البداية أتكلم معه. من حين لآخر أسأله عن صمته، عن علاقته بماما التي لم تكن جيدة... لكنني مع الزمن أوقفت الحديث معه نهائيا، فقد بدا لي كقبر معلق في الفضاء».⁶¹

وكأن التاريخ المجيد والحافل بالبطولات، أصبح مجرد شعارات معلقة على الحوائط، تاريخ يحمل الكثير من الأسئلة التي لا أجوبة لها، في إشارة واضحة إلى تطبيق مرحلة تاريخية جد مهمة، بقيت معلقة بين سماء الوهم وأرض الحقيقة، فلا هي نزلت فتوضحت، ولا ارتفعت فتقدّست "صورة زبير المعلقة"، ورغم كل الشكوك التي تحوم حول هذا التاريخ، فإنه يبقى المسلمة الوحيدة المعلقة فوق رؤوسنا، التي يجب أن نتوخى الحذر في تعاملنا معها، حذر أن نخدش عفتها وطهارتها؟، فكل الصور لهذا التاريخ قد أُتلفت، ولم تبق إلا صورة وحيدة منزهة، تراقبنا بصمت؟!.

كأنه يدعو إلى إعادة استنطاق واستكناه كل جوانب التاريخ، ذلك التاريخ النائم بصمت في سبات طويل منذ سنين، لا بد من إيقاضه ومساءلته، وهو ما لم يحصل، مما أدى بالوطن إلى التذبذب وعدم الاستقرار، والإنطواء والعزلة التي أدخلته فيها العشرية السوداء، وكان سببا فيما يحدث الآن، وقد رمز إليه بالإنفصام الذي تعيشه فريجة في حياتها، التي كان يُفترض أن تكون فرجا للوطن، فرجا ساهم في بنائه التاريخ المجيد، تحول إلى أسئلة شائكة زجت به في غيابات التيه والضياع وعدم الاستقرار، فطلاق فريجة من زبير وارتباطها الهستيري ببورييس فيان يؤكد ذلك، معبرا عن مرحلة توسطت الماضي والحاضر، مرحلة العشرية السوداء.

ليلي حمراي / الصفحات: من 39 إلى 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

حيث خاضت مملكة الفراشة في موضوعات، لطالما اعتبرت من الأبواب المحرم طرقها في المجتمع الغربي سابقا، والعربي على حد سواء. إذ لم يتوقف الروائي في هذه الرواية، عن الحفر فيما يطلق عليه بالثالوث المحرم: (الدين، الجنس، السياسة). وهو ما نستحضره مع البطلة ياما، عند استلهاها لحكاية ستيفان ديدالوس: «لا أدري ما الذي قادني نحو مدينة دبلن برفقة ستيفان ديدالوس وليوبولد بلوم في ليلة لم تكن جميلة ولا مريحة، أصلا لا أعرف كيف أحكم عليها! كنت أعبر معهما المدينة بملائكتها وشياطينها وحتى أشباحها الخفية، وهما منهمكان في نقاش لا ينتهي عن الحياة والجنس والخوف من الصباح حتى فجر اليوم التالي بلا توقف. شعرت بألفة كبيرة تجاه يومهما الطويل ١٦ يونيو ١٩٠٤ وكأنني كنت أعرفه بكل تفاصيله».⁶²

لم تتوقف مملكة الفراشة عن الاندياح والتسربل بأعمال كبيرة، استعارها الروائي، كرموز مشفرة، لتزيد من تعميق الهوية في مجتمع الرواية والواقع، ولعمق الاحساس بالضياع وعدم الثبات على معنى محدد للهوية في هذه الرواية.

وقد تميزت الكتابة الروائية عند واسيني الأعرج، بشعرية خاصة «ذات الصبغة الديمقراطية التعددية التي يتضافر داخلها فنيا و يمتزج الشعري والأساطيري والتاريخي والسياسي والقيمي، والمعرفي في داخل الحكائي،...»⁶³، وهذا ما كشفت عنه جل روايات واسيني الأعرج، التي شكلت «بطريقة أو بأخرى ملتقى أجناس متعددة من الخطابات المهاجرة من مختلف نصوص الثقافة في سياقاتها التخيلية والتاريخية والجغرافية والإيديولوجية والإثنية والفنية».⁶⁴

أما طت رواية مملكة الفراشة اللثام عن ذلك التنوع الأدبي، الذي استعان به الروائي في بناء عالم الرواية، وهو ما شكل ذلك التزاوج والتمازج في الهويات الأدبية والفنية، تأكيداً منه على فكرة الهجنة الهوياتية، معتبرا أن الهوية ليست خالصة تماما، وإنما هي الأصل وما يضاف إليه من لغات وعادات وتقاليد وديانات وأعراق وأجناس...، حيث مثلت مسرحية فاوست لغوته حجر الزاوية في هذه الرواية، مستلها أعمال بوريس فيان، ومستدعيا العديد من الشخصيات الحكائية القديمة، كزوربا وفيرجينيا وولف، كورفال، شخصيات إسلامية، تمثلت في شخصيات الصحابة الكرام، وقد تجلى حضور الأسماء اليهودية بكثرة، وانتصاب شخصية السيدة مريم العذراء، كأنه يرفض أن تحدد الهوية الجزائرية في العروبة والإسلام فقط، بل يرى بأن هذه الهوية هي مجمع هذه الأجناس والديانات واللغات، ولعل هذا الذي حذى بالمجتمع الروائي إلى الجنون والانتحار حسب رأيه ...

- لعبة الأسماء وتشتت الهوية في مملكة الفراشة: شطبت بطلة مملكة الفراشة كل الأسماء واختارت لشخصياتها ألقابا أخرى، رأت فيها أكثر انتماء من الحقيقية، ولعل قول أمين معلوف يشرح هذه الإشكالية: «تشكل هوية كل شخصية من جمهرة من العناصر لا تقتصر بالطبع على تلك المدونة على السجلات الرسمية.

ليلي حمراي / الصفحات: من 39 إلى 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

هناك بالتأكيد، الانتماء إلى تقليد ديني وإلى جنسية....، وإلى مجموعة إثنية أو لغوية، ...، وإلى مهنة ومؤسسة ووسط اجتماعي ما. ولكن القائمة أطول من ذلك أيضا... إذ نستطيع أن نستشعر بانتماء أكثر أو أقل قوة إلى ريف... أو... جماعة من الأشخاص يمتلكون الأهواء ذاتها أو الميول الجنسية ذاتها أو العاهات الجسدية ذاتها أو الذين واجهوا الأذيات ذاتها»⁶⁵.

لذا رأت ياما أن أسماء البلدية، هي أسماء اعتباطية، مجرد مورفيمات فارغة تمتلئ بالفعل الذي تقدمه، ولطالما خالفت هذه الأسماء أفعال أصحابها: «أنا لا أكره أي إسم ولكني مولعة بأسماء الكتب لأنني أراها أكثر أصالة وصدقا. وتشبه أصحابها بشكل غريب. الإسم في الروايات والمسرحيات غير إعتباطي. الأسماء المدنية التي تُقيد في البلديات، قليلا ما تطابق أصحابها. هكذا يبدو لي. فهي للحاجة الماسة كأن تضع علامة على كتلة بلا هوية حتى لا تخلطها مع بقية الكتل»⁶⁶، لا تكفي الأسماء المقيدة في سجلات البلدية، ولا تلك المعلومات المسجلة على بطاقات التعريف وجوازات السفر، أن تحدد لنا هوية الشخص بدقة وبشكل محدد، وما تلك المعلومات إلا ذلك الجزء الضئيل البارز من هويتنا.

تعدد الأسماء، أو فيما سمّته ياما بالظلال، يدل على أن الهوية لا تُعطى وإنما تُكتسب، وهو كرفض لما هو مائل في الواقع، أو هو التخبط بين أكثر من هوية، فزير مثلا هو زوربا؛ في تغييرها لاسم زير دعوى إلى رفض المسلمات، ولربما رفض الحروب، أو محاولة إبعاد تهمة العنف عن الإسلام مثلما يراه الغرب. لكن الأرجح يدل على عدم الاستقرار والثبات، ويشير إلى ذلك الانفصام الذي يعاني منه المجتمع الجزائري آنذاك.

ما اعترفت به ياما في هذا القول يعمق فهمنا لهذه الظاهرة: «أحيانا أراني مدام بوفاري، لكني لا أملك راحتها. في أحيان أخرى أراني دون كيشوت وأنا أملك جنونه وهبله. ويلتبس بي الأمر حتى مع شهرزاد لكني لا أملك لا شجاعتها ولا راحتها ولا ثقافتها ولا سلطانها. وعندما أصاب بالخيبة القصوى، فلا أرى إلا وجه كارمن وسكينتها الحادة بين أسنانها وهي ترقص رقصة الموت الدموية في حضرة زوجها وعشيقها معا»⁶⁷.

وكأن الروائي يرفض تحديد الهوية في جنس أو عرق أو في رقعة جغرافية معينة، أو في دين أو طائفة، يعطينا لمحة موجزة عن هوية ياما، المتمزقة وللامتمية، حيث عاشت إيما بوفاري بشخصيتين وتزوجت رجلا وعشقت اثنين، وانتحرت في نهاية المطاف، أما دونكيشوت فقد كان يحارب السلطة الأرستوقراطية التي عبر عنها بالطواحين الهوائية، ما تشترك فيه ياما مع دون كيشوت، أما شهرزاد فقد كانت العربية التي وقفت في وجه السلطان، وكسرت وحشيتها وأوقفت القتل الذي استباح أرواح النساء، وتتماهى مع كارمن التي قتلت زوجها وعشيقها معا، وهي التي ترمز إلى فشل فرضية الاختيار في القتل بين اثنين من نفس الأسرة، وإذا اخترنا واحدا منهما فإننا سنقتلها معا، ونقتل أنفسنا بمعيتهما، وكأنه يشرح العشرية السوداء التي أجبرت الأخ على قتل إخيه، متفاجئا بقتل نفسه، فهي كل هذه الهويات دون تميز أو تفرد، بل ما يجعلها أكثر ميزة عن غيرها، هي

ليلي حمراي / الصفحات: من 39 إلى: 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

هذه الهجنة التي طبعت بها، أو لربما يرمي الروائي إلى ذلك التشابه بين البشر في كل أنحاء العالم، وكأنه يرى الإنسان إنسانا، لا يهم دينه ولا عرقه ولا انتماءه ولا حتى جغرافيته.

يوضح المقطع الذي بين يدينا، المذهب الذي سار عليه واسيني الأعرج في مملكة الفراشة، في تحديده لمصطلح الهوية، إذ تعبر البطلة عن ذلك، مستعينة بحفنة من الرموز والألوان، قائلة: «كنت فراشة بجرح صغير يكاد لا يظهر. غمرتني الألوان الكثيرة من كل الجوانب. كانت تلفني وتغطيني مثل ستائر من نور. كانت شمسي وليست الشمس العادية تخرج من غلافها. غرقت في اللون الأزرق الذي يميل نحو الأخضر والبنفسجي الذي يأتي من مزيج الألوان التي غيّرهما الضباب الممزوج بالمطر».⁶⁸

يرى الروائي أن الجزائر تتشكل من فسيفساء هوياتية، من العديد من الألوان، التي ترسم وجهها، ملمحا إلى قبول كل الهويات التي تؤثت أركان الوطن، على اختلاف العرق والدين واللون واللغة.

لم يتوقف سؤال الهوية عند اللغة فقط، فيما إذا كانت هذه اللغة هي العربية فقط، وإن كانت كذلك فما هو حال اللغة الأمازيغية؟ بل انسحب السجال إلى سؤال أكثر خطورة، راح يحفر في جذور التاريخ الجزائري قبل الاحتلال الفرنسي، وقد امتدت يده إلى قضية يهود ومسيحيي الجزائر، إن كانوا جزائريين أم لا؟، هذا ما تطرحه الرواية الجزائرية الآن، ولا سيما رواية مملكة الفراشة، التي ما انفكت تتساءل عن هذا الموضوع.

6) ثنائية الأنوثة/ الذكورة في مملكة الفراشة:

- الأنوثة: تقول "ياما" بطلة مملكة الفراشة على لسان أمها: «واش يدير بفيرجينا وولوف مسكينة مثل القصبة الفارغة ومريضة عقليا، ويترك امرأة ملحمة وصحيحة، تركت زوجها من أجله هههه».⁶⁹

وهذا التعبير صريح عن الثقافة الذكورية العربية، التي تحتفي بالمرأة الممتلئة والصحيحة العقل والجسد لكي تتحمل أعباء الحياة وتكون راحة "للرجل، فصحتها ليست مهمة" إلا لأهمية راحة هذا الرجل، الذي يسكن إليها ليرتاح، ويرمي عليها بكل مسؤوليات الحياة، أمّا وزنها، فهو فقط لإمتاع زوجها ليس إلا، فلا شيء مرغوب في المرأة إلا لأنه يخدم سيدها الرجل فقط.

وتصف "ياما" أمها مقربة صورتها جيدا، إذ تقول: «أمي كانت جميلة وأنيقة، امرأة حقيقية، تشبه نساء القرن التاسع عشر اللواتي صورهن دولاكروا، في بيوتهن، كل المقاييس الجمالية: مدورة، جميلة، ملامح طفولية، عينان تبرقان، نشوى الحياة».⁷⁰

المقاييس نفسها التي تطلبها الثقافة الذكورية في المرأة، كي تكون أنثى وجذابة، يجب أن تكون ممتلئة، وجميلة ولها ملامح الطفولة، ولعلها تقصد السذاجة التي يبحث عنها الرجل، كي يشكلها (المرأة) عجينة طيعة بين يديه،

ليلي حمراي / الصفحات: من 39 إلى: 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

فيصنع بها ما يشاء، دون أن تعارضه، أو تدلي برأيها، ولا بد أن تكون هذه الأنثى مريحة، محبة للحياة، كي تستطيع إسعاد سيدها الرجل، نفس المقاييس التي كانت تحدد قيمة الجارية، إن كانت ستذهب للتنظيف والخدمة أو إلى مخدع مالِكها الرجل...، تصف ياما ماسّة قائلة: «الغريب أنها هي من قام وجاء نحوي في حالة شبيهة بالتبخر. كانت المرأة التي تلقب نفسها في الفيسبوك بالمهبولة، جميلة وممتلئة وتلبس لباسا قصيرا جدا... لاحظت أنّ جسدها كان قويا وممتلئا. عندما قال لها فاوست: كل شيء فيك ينبض بالحياة لم يكن يقول أي كلام. كان يعرف ماذا يقول...»⁷¹، ما نفهمه من هذا المقبوس أنها وحدها المرأة الممتلئة والقوية الجسد أنثى، ولا دور لها في الحياة خارج الجنس.

أمّا في يومنا هذا، فقد اجتمعت كل هذه الصفات فيها، إذ يجب أن تكون خادمة ممتازة بكل المقاييس، وتسهر على راحة سيدها الرجل، وهي لا تعدو أن تكون جارية، مملوكة لا يحق لها الاعتراض أو ابداء رأيها، أو حتى مجرد التعبير عن أفكارها ومشاعرها، وإن فعلت اعتبرت متمردة، توجب معاقبتها...

وهي أشياء تقوم بها الثقافة الذكورية متكئة على أحكام شرعية، وحاشي أن يخطئ الله، لكن البشر هم من يجدون الذرائع، لتبرير أفعالهم غير العادلة ولا حتى الإنسانية. وقد حفلت الثقافة العربية بالكثير من القصائد والأمثال الشعبية، التي تتغنى بجمال المرأة، وبصفاتها الجسدية التي تجعلها محافظة على النسل، أو إن صحَّ التعبير أنه للجنس فقط، وهي عبارة عن « فسيفساء مُفبركة من الأمثال نحتها الرجل تحت تأثير نزعتة ليحمي تفوقه المكتسب عبر التاريخ، وليعزز مواقفه في الحاضر والمستقبل، تبدو من خلاله المرأة غائبة عن واقع مجتمعها، مبعدة عن قضاياها التنموية، لا تحيا وجودها بقدر ما تتحول إلى ظل للزوج ومجرد صدى له باذلة وبكل سداجة الجهد لتتناغم داخليا وخارجيا مع ذوقه مصححة نفسها وفق متطلباته⁷².

هذا ما جعل المرأة تبحث عن كل ما يُرضي الرجل، فالسمراء تطلب البياض، وتدفع الكثير من أجل تفتيح بشرتها، وتشقير شعرها، وأصبح هناك العدسات اللاصقة بكل الألوان، وإذا ما لاحت في الأفق علامات الكبر هَرعت إلى مستحضرات التجميل، أو بالأحرى عمليات التجميل، فقط لأن هذه الثقافة الذكورية القاسية شيأت المرأة، وعلبتها، وجعلتها مجرد سلعة فقط: «هذا التراكم التراثي في شطره الكبير ينسخ شخصيتها ويطبّعها وفق منهج تلفيقي - تلطيفي- بتناقضات وثنائيات متناغمة (انجاب، عقم، خير، شر، قبح، جمال، تمرد، بكارة...) استمد من مشروعيتها منذ نشوء "الجمي" ومن العادات والتقاليد والقوانين التي ضخمت الفروق وبعدت المسافات، مدعمة ثقافة قمعية سلطوية تجبرها إمّا على التبعية أو الإقصاء!! أن تكون موضوعا جنسيا أولا تكون»⁷³. تقول ياما: «بقي صامتا للحظات وهو ينظر إليّ بسرية، ويتأمل ساقّي العاريتين، ويصعد شيئا فشيئا باتجاه بقية الجسد. يداه مخبأتان وراء المكتب. من حين لآخر تصبح عيناه فارغتين...»⁷⁴.

ليلي حمراي / الصفحات: من 39 إلى 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

يحمل المقبوس الاتي، ميزة من مميزات الأنوثة التي تطلبها الذكورة في الأنثى كي تكون أنثى، إذ تقول ياما: « فضلت الصمت لأبدو مطمئنة قليلا وحتى غبية. للأغبياء نعيم الخروج من الأزمات بلا ضرر. ولكن كيرفال قرأ كل أحاسيسي، حتى المتخفي منها»⁷⁵، تواصل نقلها لحوارها مع كيرفال: «الوضع الان أفضل، وأريد أن أتخلص من ثقل السنوات الماضية.

أجاب كيرفال ببرودة متصلة.

- لأنني أعرف ذلك، فأنا أسألك. ثم أنت... لست مطالبة بالدفع لو...

قال ببعض الخبث والملعنة والإغواء الذي أبان عن وجه ثقيل ومليء بالجدري. كان يدور حولي»⁷⁶، يشرح هذا القول نفسه، وهي ليست ظاهرة ثقافية فقط، بل هي ظاهرة اجتماعية متفشية في المجتمع الجزائري، ومتجذرة فيه.

لا تسمح هذه الثقافة الذكورية المجحفة والظالمة، أن تعيش المرأة بسلام، أو أن تعرف هذه الأخيرة قيمتها الحقيقية في المجتمع، بل كلما أحست الثقافة الذكورية، بعودة الأنثى إلى حقيقتها ومعرفة قدراتها، وقيمتها في الدين والمجتمع، كلما عكفت الذكورة على كسر ظهرها، وإعادة تسليعها وتعليقها من جديد حسب مقاييسها الخاصة، معتبرة إياها مجرد جسد فقط. تقول ياما عن ديف الذي أحبته وتخلّى عنها بسبب مثاليتها الزائدة عن اللزوم: «كان ديف طيبا وصريحا مثل طفل. مع أنني كنت مستعدة لتغيير سيرتي القلقة وأمنحه ما كان يريده من جسدي، إذ لا يمكن أن أحول جسدي أيضا إلى حروف هاربة وباردة»⁷⁷، حتى ديف اليهودي كان لا يرغب في ثقافة ياما الواسعة، والتي بات يخاف منها لأنها تطير به عن أرض الواقع، لم يكن يبحث عن امرأة في ياما، بل كان يطلب الأنثى التي حددتها مقاييس الذكورة، والتي حصرتها في جسدها فقط.

يجعل الصمت من المرأة أنثى حقيقية، أما إذا كانت غبية فهذا قمة الأنوثة، التي كان يرغب فيها الذكر، معلنه بأنه كان يعرف جيدا أحاسيسها ويسر أغوارها، كدلالة على معرفة الذكورة بكل خبايا الأنوثة، وكدلالة على أن هذه الذكورة، هي التي تفننت في تشكيل صورة الأنثى.

تغيرت هذه النظرة الدونية للمرأة مع مجيء الإسلام، الذي قدّرها ومنحها كل حقوقها، وكرّمها عند والدها وزوجها وابنها، وجعل الجنة تحت قدميها، وساوى بين المرأة والرجل في الحقوق والواجبات، إذ عرف: «المجتمع العربي مع مجيء الإسلام تغييراً جذرياً يعتبر ثورة على الموروث الجاهلي على المستوى الاجتماعي والثقافي والسياسي، حيث أخذت المرأة مكانتها الحقيقية كعضو في المجتمع الإسلامي الجديد، بعد أن كانت في العصر الجاهلي عرضة للوؤد خوفا من الفقر، والعار والسبي»⁷⁸.

ليلي حمراي / الصفحات: من 39 إلى 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

تغيرت الموازين بعد العصر الإسلامي، فبمجيء العصر الأموي عاد الناس إلى سابق عهدهم، ففتنوا باللهو والغناء ومجالس القصص والقذف، وولعوا بالجواري وساد الفساد وعمّ في الأرجاء، ولا سيما ما كان يحدث في قصور الحكام آنذاك: «وقال عبد الملك بن مروان الذي أصيب بالتخمة في سوق الجوّاري ببيروت: "من أراد أن يتخذ جارية للمتعة فليتخذها بربرية، ومن أرادها للولد فليتخذها فارسية، ومن أرادها للخدمة فليتخذها رومية»⁷⁹.

من خلال ما مرّ من شواهد، يتأكد أن هذه المرأة المعاصرة، هي نفسها المرأة في ذلك العصر فهي إمّا عشيقة، وإمّا أم لولد، وإمّا خادمة، وهي اليوم تجتمع فيها كل هذه الأصناف، يتزوجها ليعتمتع ولينجب ولتكون له خادمة، إذ لا يحق أن تعترض، وهي تضرب وتحرم من حقوقها وتُهَان وتُخَان وليس لها الحق في الكلام، إذن لازلنا نعيش في عصر القيان والجوّاري ونحن في عصر التكنولوجيا والحضارة.

- **الذكورة:** تنقل ياما ما حدث لها في مديرية الضرائب، يوم راحت تبحث عن ماسّة التي ظنتها عشيقة فاوست، وقام الحارس بمساومتها، كي يسمح لها بالدخول: «فجأة ارتسم أمام وجهي المركيز دو صاد وشيئا فشيئا اتضح جليا وجه كيرفال الذي ظل راشقا بصره فيّ ويعبرني قطعة قطعة بتلذذ منقطع النظر. بدأ كيرفال، هكذا رسوت على اسم الحارس، يتحرك داخل الهو وكأنه كان يحمل على ظهره العالم كله. رأيت من الأمام ومن الخلف، من كل الجوانب، فارتسمت أكثر في ذهني كل تفاصيل كيرفال»⁸⁰، تصف ياما الحارس، فتشبهه تارة بالمركيز دو صاد الوحشي والذي نسبت إليه السادية المتوحشة⁸¹، ونعثر في الأخير إلى اسم هو أشد التصاقا به: كيرفال⁸²، كرمز للذكورة المتوحشة، التي لا ترى المرأة إلّا جسدا، تمارس عليه كل أنواع الأعمال الدونية، من جنس وتعذيب وقتل، ولعل هذا ما كان يمارسه الإرهاب في الجزائر. وتصور المرأة مسلوحة الإرادة ضعيفة وراضخة، تموت في صمت.

نعثر على مقطع آخر تصف فيه ياما وصفا دقيقا لحارس مصلحة الضرائب، الذي كان يشبه كيرفال، والذي ساومها، حتى وهي تريد دفع فاتورتها؟: «كانت نظراته جافة وخالية من أية عاطفة. يشبه هيكلا عظيما. كان طويلا، وجافا، ونحيفا. عيناه فارغتان ومنطقتان. وفم بلا ملامح، وموبوء، ذقنه مرتفع قليلا، وأنفه طويل. مشعر كحيوان خرافي، ظهر مسطح وإلّيتان مرتختان تشبهان منشفتين متسختين ترتعشان في أعالي ساقبه»⁸³، وصفت ياما الحارس مقتبسة ذلك من رواية المركيز دو ساد، 120 يوم في سدوم، وقد أحال لها الروائي في الهامش.

نهلت مملكة الفراشة إذّا من العديد من المؤلفات العالمية، لا سيما الفرنسية، وقد تعرفنا في بداية هذا المبحث، على التناس الواضح مع روايات بوريس فيان، لاسيما روايته: سأبصق على قبورك، وما تحمله من سادية ومازوخية، وتحمل رواية مركيز دو ساد نفس الشيء، ولعل بوريس فيان نفسه كان متأثرا بهذا الأخير. لم تصور هذه الرواية الذكورة فحسب، بل صورت وحشية الذكورة، وفقدانها للإنسانية، مغرقة في الهيمنة.

ليلي حمراي / الصفحات: من 39 إلى: 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

حيث شابهت العشرية السوداء في الجزائر سادية الماركيز دو ساد، وبوريس فيان، ولعل هذا الذي حمل الروائي على مواصلة ابتهالاته إلى الأنوثة الأبدية، محتفيا بالمرأة، ومدافعا عنها، لأن الأنوثة هي التي تعيد الذكورة إلى إنسانيتها، وبالتالي إلى حالتها الطبيعية.

ذلك ما يجعلنا نعثر على الفحولة/ الذكورة المشوهة في هذه الرواية، حيث تصف ياما مرة أخرى صورة جارهم "بشير" الذي سمته "شارلي" «هههههه أضحك لهذه الصورة إذ يخترقني وجه جارنا شارلي، بشير، الذي كان يريد أن يتزوجني ليسترني من القيل والقال، وهويتأتى بحثا عن كلماته»⁸⁴، لأن اللسان من أدوات الذكورة، لكن ياما تعتمد إلى تعطيلها وتشويهها، كرمز على عدم فحولة بشير ورجولته.

ونعثر في ذات السياق على نص آخر، يصور الفحولة المشوهة: «كان الأمير ميشيكن، هكذا أسميته، عن أبله ديستوفيسكي، يريد الفرماسيانة التي تحل مشكلة بطالته أكثر من المرأة التي كانت تحلم بأن تكون معشوقة بشكل كامل ليس أقل من جنون ديف. عندما رَفَضَتْه بصوت عال وقالت له: اسمع يا ولد الناس، روح داوي روحك. أنت لا تصلح لي وأنا لا أصلح لك. أصيب بصرع كاد يقتله لولا بعض المارة الذين وضعوا في كفه نقود ومفتاحا أرجعاه إلى الحياة»⁸⁵، عطّلت ياما هذه المرة عقل ميشيكن، «لم يكن مخه أحسن من مخ شارلي الذي أنقذته الفياغرا من الجنون»⁸⁶، عطّلت ياما عناصر الفحولة في كل من شارلي وميشيكن، ورغم هذا الخلل في هاتين الشخصيتين الذكورتين، نجدهما ينظران إلى ياما بدونية واعتلاء، انطلاقا من نظرة ذكورية قاصرة، جعلت المرأة أكثر دونية، وأقل مرتبة من المجانين: «فطلب يدها من جديد وقال إنه مستعد أن يقبل بها كما هي، وأن ينسى كل الماضي القاسي بينهما. كما هي. أي ماض أصلا؟»⁸⁷. كرس هذا المقتطف ذلك الوعي الذكوري، الذي لا يرى في المرأة إلّا مخلوقا ناقصا، هي حتى ليست إنسانة، وبالمقابل تشوّه ياما هذه الذكورة، إذ تنقلب الموازين فتسحب منها سلاحها، الفحولة، واللسان، لأنه «آلة الفصاحة، وإن حصلت عليه المرأة كهدية من الرجل فإن شروط استخدام هذه الآلة لا تتوفر فيها، لذا جرى استرداده منها ليكون تحت إمرة الرجل وليكون حصانا أو حصنا يدفن الرجل عقله تحته»⁸⁸، فبسحب ياما لآلة اللسان الذكورية من ميشيكن، تجعله دون عقل، وبهذا تخرجه من دائرة الذكورة، التي من قواعد العقل واللسان والفحولة. وفي المقابل أعلنت سلطان المرأة وجعلتها أكثر فصاحة وثقافة وعلمًا ومعرفة، وهذا لا يتم إلّا بالعقل السليم والذكاء الخارق.

خاتمة:

أماطت رواية مملكة الفراشة اللثام عن ذلك التنوع الأدبي، الذي استعان به الروائي في بناء عالم الرواية، وهو ما شكل ذلك التزاوج والتمازج في الهويات الأدبية والفنية، تأكيدًا منه على فكرة الهجنة الهوياتية، معتبرا أن الهوية ليست خالصة تماما، وإنما هي الأصل وما يضاف إليه من لغات وعادات وتقاليد وديانات وأعراق وأجناس....، حيث مثلت مسرحية فاوست لغوته حجر الزاوية في هذه الرواية، مستلهما أعمال بوريس فيان،

ليلى حمراي / الصفحات: من 39 إلى 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

ومستدعيًا العديد من الشخصيات الحكائية القديمة، كزوربا وفيرجينيا وولف، كورفال، شخصيات إسلامية، تمثلت في شخصيات الصحابة الكرام، وقد تجلّى حضور الأسماء اليهودية بكثرة، وانتصاب شخصية السيدة مريم العذراء، كأنه يفرض أن تحدد الهوية الجزائرية في العروبة والإسلام فقط، بل يرى بأن هذه الهوية هي مجمع هذه الأجناس والديانات واللغات، ولعل هذا الذي حذى بالمجتمع الروائي إلى الجنون والانتحار حسب رأيه ...

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص

المصادر:

(1) واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، مجلة دبي الثقافية، دار الصدى للنشر والتوزيع، ط 1، 2013 المراجع:

(1) سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، النص السياقي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 1، 1989

(2) دوني كوش: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت- لبنان، ط 1، 2007

(3) ميجان الرويلي وسعيد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ط 2، 2002

(4) نادية العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط 1، 1998

(5) رالف لنتون، الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث، ترجمة عبد المالك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، ط 1، 1967

(6) سلامة موسى: الثقافة والحضارة، مجلة الهلال ديسمبر، 1927

(7) عيسى برهومة: اللغة والجنس، حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط 1، 2002

(8) كليبر كرامش: اللغة والثقافة، تر: أحمد الشيعي، منشورات وزارة الثقافة والفنون والتراث، إدارة البحوث والدراسات الثقافية، الدوحة- قطر، ط 1، 2010

(9) مصطفى ناصيف: محاورات مع النثر العربي، عالم المعرفة ع 218، المجلس القومي للثقافة والفنون والآداب، الكويت، فبراير، 1997

(10) بيتر كوزن Peter Cozen: البحث عن الهوية " الهوية وتشتتها في حياة إيريك إيركسون وأعماله، تر: سامر جميل رضوان، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات العربية المتحدة، ط 1، 2009

(11) بول ريكور: الوجود والزمان والسرد، فلسفة بول ريكور، تر: سعيد الغاني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 1999

(12) عبد الرحمان النوايبي: السرد والأنساق الثقافية في الكتابة الروائية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط 1، 2016

(13) أمين معلوف: الهويات القاتلة " قراءات في الانتماء والعولمة"، تر: نبيل محسن، دار ورد للنشر والطباعة والتوزيع، سوريا، ط 1، 1999

(14) إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، تر: كمال أبو ديب، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط 4، لبنان، 2014

ليلي حمراي / الصفحات: من 39 إلى 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

- 15) نظر، حمراي ليلي: تجليات حماية اللغة العربية والعروبة عند الدكتور "عثمان سعدي"، الكتاب الخامس، المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية، دبي 7 - 10 ماي 2013
- 16) جميل حمداوي: السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، مج 25، ع 3، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، مارس 1997
- 17) شعيب حليفي: هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، الدار الثقافية للنشر والتوزيع، ط 1، 2005
- 18) عباس حسن: النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، دار المعارف، مصر، دط، دت
- 19) عبد الله شطاح: نرجسية بلا ضفاف، التخيل الذاتي في أدب واسيني الأعرج
- 20) الطاهر رواينية: شعرية الكتابة الروائية عند واسيني الأعرج، حوار المتخيل المعرفي والهامشي، مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية
- 21) كه يلان محمد: "على قبوركم" - رواية واحدة بنهاتين-، مجلة Ultra صوت، 21 أفريل 2019 <https://www.ultrasawt.com>
- 22) رشيدة بن مسعود: المرأة والكتابة، سؤال الخصوصية، بلاغة الإختلاف، إفريقيا الشرق، المغرب، ط 2، 2002

هوامش البحث:

- 1 سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، النص السياقي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 1، 1989، ص 32.
- 2 دوني كوش: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت- لبنان، ط 1، 2007، ص 30.
- 3 ميجان الرويلي وسعيد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ط 2، 2002، ص 187.
- 4 نادية العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط 1، 1998، ص 16-17.
- 5 رالف لنتون، الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث، ترجمة عبد المالك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، ط 1، 1967، ص 27.
- 6 سلامة موسى: الثقافة والحضارة، مجلة الهلال ديسمبر، 1927، ص 5.
- 7 دون كوش: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، المرجع السابق، ص 93.
- 8 عيسى برهومة: اللغة والجنس، حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط 1، 2002، ص 9.
- 9 كلير كرامش: اللغة والثقافة، تر: أحمد الشبيبي، منشورات وزارة الثقافة والفنون والتراث، إدارة البحوث والدراسات الثقافية، الدوحة- قطر، ط 1، 2010، ص 16.
- 10 مصطفى ناصيف: محاورات مع النثر العربي، عالم المعرفة ع 218، المجلس القومي للثقافة والفنون والآداب، الكويت، فبراير، 1997، ص 15.
- 11 بيتر كوزن Peter Cozen: البحث عن الهوية "الهوية وتشتتها في حياة إيريك إيركسون وأعماله"، تر: سامر جميل رضوان، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات العربية المتحدة، ط 1، 2009، ص 90.
- 12 المرجع نفسه، ص 93.
- 13 المرجع نفسه، ص 93.

ليلى حمراي / الصفحات: من 39 إلى: 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

- 14 بول ريكور: الوجود والزمان والسرد، فلسفة بول ريكور، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 1999، ص 254.
- 15 بول ريكور: الوجود والزمان والسرد، فلسفة بول ريكور، المرجع السابق، ص 256.
- 16 عبد الرحمان النوايبي: السرد والأنساق الثقافية في الكتابة الروائية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط 1، 2016، ص 104.
- 17 إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، تر: كمال أبو ديب، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط 4، لبنان، 2014، ص 59-60.
- 18 إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، تر: كمال أبو ديب، ص 59-60. المرجع السابق
- 19 إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، ص 59 – 60. المرجع السابق
- 20 أمين معلوف: الهويات القاتلة "قراءات في الانتماء والعولمة"، تر: نبيل محسن، دار ورد للنشر والطباعة والتوزيع، سوريا، ط 1، 1999، ص 22.
- 21 أمين معلوف: الهويات القاتلة "قراءات في الانتماء والعولمة"، ص 22. المرجع السابق
- 22 المرجع نفسه، ص 25.
- 23 ينظر، حمراي ليلى: تجليات حماية اللغة العربية والعروبة عند الدكتور "عثمان سعدي"، الكتاب الخامس، المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية، دبي 7 – 10 ماي 2013، ص 39.
- 24 المرجع نفسه، ص 39 – 43.
- 25 جميل حمداوي: السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، مج 25، ع 3، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، مارس 1997، ص 97
- 26 المرجع نفسه، ص 107
- 27 شعيب حليفي: هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، الدار الثقافية للنشر والتوزيع، ط 1، 2005، ص 21
- 28 عباس حسن: النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، دار المعارف، مصر، دط، دت، ص 507
- 29 سورة القارعة، الآية: 4
- 30 سورة النحل: الأيتان 68-69.
- 31 واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، مجلة دبي الثقافية، دار الصدى للصحافة والنشر والتوزيع، ط 1، 2013، ص 52
- 32 عبد الله شطاح: نرجسية بلا ضفاف، ص 27. المرجع السابق
- 33 مملكة الفراشة، ص 353. المصدر السابق
- 34 المصدر نفسه، ص 346-347.
- 35 مملكة الفراشة، ص 447. المصدر السابق
- 36 المصدر نفسه، ص 449.
- 37 المصدر نفسه، ص 449.
- 38 المصدر نفسه، ص 440.
- 39 المصدر نفسه، ص 440.
- 40 المصدر نفسه، ص 465.
- 41 عبد الله شطاح: نرجسية بلا ضفاف، التخيل الذاتي في أدب واسيني الأعرج، ص 42. المرجع السابق

ليلي حمراي / الصفحات: من 39 إلى 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

- 42 مملكة الفراشة، ص 346. المصدر السابق
- 43 المصدر نفسه، ص 387.
- 44 المصدر نفسه، ص 429.
- 45 المصدر نفسه، ص 327.
- 46 مملكة الفراشة، ص 431. المصدر السابق
- 47 المصدر نفسه، ص 491 – 492.
- 48 المصدر نفسه، ص 495-496.
- 49 المصدر نفسه، ص 496.
- 50 مملكة الفراشة، ص 497. المصدر السابق
- 51 الطاهر رواينية: شعرية الكتابة الروائية عند واسيني الأعرج، حوار المتخيل المعرفي والهامشي، مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، ص 17 <https://ouvrages.crasc.dz>.
- 52 واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص 6. المصدر السابق
- 53 المصدر نفسه، ص 7.
- 54 واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص 159. المصدر السابق
- 55 كه يلان محمد: "على قبوركم" – رواية واحدة بنهايتين-، مجلة Ultra صوت، 21 أبريل 2019 <https://www.ultrasawt.com>
- 56 مملكة الفراشة، ص 394. المصدر السابق
- 57 المصدر نفسه، ص 337 – 338.
- 58 مخلوف عامر: توظيف التراث في الرواية الجزائرية، ص 83. المرجع السابق
- 59 مملكة الفراشة، ص 163. المصدر السابق
- 60 المصدر نفسه، ص 166 – 167.
- 61 مملكة الفراشة، ص 24. المصدر السابق
- 62 المصدر نفسه، ص 492.
- 63 الطاهر رواينية: شعرية الكتابة الروائية عند واسيني الأعرج، ص 19. المرجع السابق
- 64 الطاهر رواينية: شعرية الكتابة الروائية عند واسيني الأعرج، ص 20. المرجع السابق
- 65 أمين معلوف: الهويات القاتلة، ص 14. المرجع نفسه
- 66 مملكة الفراشة، ص 78-79. المصدر السابق
- 67 واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص 78. المصدر السابق
- 68 المرجع نفسه، ص 497-498.
- 69 واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص 144. المصدر السابق
- 70 المصدر نفسه، ص 145.
- 71 المصدر نفسه، ص 334.
- 72 خديجة صبار: المرأة بين الميثولوجيا والحداثة، ص 65. المرجع السابق
- 73 المرجع نفسه، ص 66.

ليلي حمراي / الصفحات: من 39 إلى: 69

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

- 74 مملكة الفراشة، ص 332. المصدر السابق
- 75 المصدر نفسه، ص 329..
- 76 المصدر نفسه، ص 332.
- 77 مملكة الفراشة، ص 386. المصدر السابق
- 78 رشيدة بن مسعود: المرأة والكتابة، سؤال الخصوصية، بلاغة الاختلاف، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002، ص 10.
- 79 خديجة صبار: المرأة بين الميثولوجيا والحداثة، ص 64. المرجع السابق
- 80 مملكة الفراشة، ص 328 – 329 المصدر السابق
- 81* هو دوناتا ألفونسو فراسوا دي ساد، معروف بماركيز دي ساد، كان أرسطو قراطي ثوريا فرنسيا وروائي، كانت رواياته فلسفية وسادية متحررة من من كافة قوانين النحو الأخلاقي، تستكشف مواضيع وتخيلات بشرية دفينية مثيرة للجدل وأحيانا للإستهجان في لأعماق النفس البشرية من قبيل الهيمنة، الاغتصاب... إلخ كان من دعاة أن يكون المبدأ الأساسي هو السعي للمتعة الشخصية المطلقة من دون أي قيود تذكر سواء أخلاقية أو دينية أو قانونية.... مصطلح السادية تم اشتقاقه من إسمه ليصبح مرادفا في اللغة للعنف والألم والدموية. [Http://ar.m.wikipedia.org](http://ar.m.wikipedia.org)
- 82 كيرفال: هو القاضي (رئيس كيرفال) : عمره 60 عاما وُصف كرجل طويل وهزيل، وقد اعتاد أن يستمتع بإطلاق أحكام الإعدام على أشخاص يُعرف عنهم أنهم بريئين، وهو شخصية من شخصيات رواية 120 يوم في سدوم، لكتبتها ماركيز دو ساد، والتي صور فيها أقصى درجات الجنس السادي والعنف ضد الأطفال الصغار والنساء والذكور أيضا، عن طريق تعذيبهم و سلخ جلودهم و تقطيع أطرافهم، واستخراج ما في أمعائهم...
- 83 مملكة الفراشة، ص 329. المصدر السابق
- 84 المصدر نفسه، ص 379.
- 85 مملكة الفراشة، ص 400 – 401. المصدر السابق
- 86 المصدر نفسه، ص 401.
- 87 المصدر نفسه، ص 401.
- 88 عبد الله الغدامي: المرأة واللغة، ص 39. المرجع السابق